أجاثا كريستي

المؤامرة الكبرى

مكتبة معروف

اجاثا كريستى

المؤامرة الكبرى

عمرو يوسف

مكتبة معروف

الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة : ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٢٧٠ الإسكندرية

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمركز العربى للنشر بالاسكندرية
معروف أخوان

الفصل الأول

سار الكابتن كروسبى فى شوارع بغداد سعيداً بعد أن صرف شيكاً من البنك بمبلغ كبير .. كان رجلاً قصير القامة غليظ الشارب بشوش الوجه يميل للمرح والدعابة ولكنه رغم ذلك كان مهذباً للغاية .

كانت الشمس حارقة والجو خانقاً والشوارع مزدحمة .

ابتاع أحد الصحف اليومية من شارع الرشيد ثم واصل السير قليلاً حتى توقف أمام مبنى كبير تعلوه لوحة نحاسية .. فتح الباب ثم دخل وأخبر الشاب العراقى الذى كان يكتب على الآلة الكاتبة أنه يريد مقابلة مستر دايكن .

دخل كروسبى إلى غرفة كبيرة لا يوجد بها سوى مكتب ضخم وأريكة كبيرة ، أما مستر دايكن فقد جلس أمام المكتب .. كان يرتدى ثياباً متنافرة ولا يدعو منظره للسرور .. قال على الفور :

- أخيراً عدت من كركوك ؟.

أومأ الكابتن كروسبى برأسه بالإيجاب وهو يغلق الباب ثم جلس على

الأريكة وقال :

- ترى هل هناك جديد ياسيدى ؟.

كان قد انتهى للتو من فك رموز رسالة شفرية فقال :

- نعم .. سوف يعقد الاجتماع فى بغداد .

ثم أحرق الرسالة وفرك رمادها بقوة واستطرد :

- أخيراً تقرر أن يعقد الاجتماع في بغداد فى العشرين من الشهر القادم ، وكما تعلم فمهمتنا الإبقاء على موعد الاجتماع ومكانه فى طى الكتمان .

ضحك كروسبى وهو يقول :

- إن الناس فى الشوارع يتحدثون عن هذا السر منذ ثلاثة أيام .

ابتسم دايكن وقال :

- للأسف .. إن الأسرار لا تخفى على أحد فى بلاد الشرق .. أليس كذلك ؟.

- نعم ياسيدى .. ولكن ذلك ينطبق على الغرب أيضاً .. فأدق الأسرار يمكنك أن تجدها لدى صبى الحلاق مثلاً .. وإذا كان المؤتمر سيعقد فى بغداد فلابد أن يعرف الناس حتماً .

ترى هل سينجح ؟.

- لابد أن يبتعد الجميع عن مناقشة الايديوليچيات والمبادئ حتى لا يفشل المؤتمر كما فشل غيره ، ولكن الأمر الآن مختلف تماماً حيث ظهرت

عناصر جديدة .. ترى ماذا يحدث لو صحت تلك القصة العجيبة التى رواها كارمايكل ؟!.

قال كروسبى :

- كلا ياسيدى ..لا يمكن أن تكون هذه القصة صحيحة .. لقد وصفتها بأنها عجيبة .

لاذ دايكن بالصمت وهو يتذكر قصة كارمايكل أقدر جواسيسه وهل يمكن أن تكون صحيحة أم أن الرجل قد أصابه مس من الجنون ؟!.

وأخيراً قال :

- ولكن لا تنس أن جميع القرائن كانت تؤيد صحة رواية كارمايكل الذى ذهب ليجمع الأدلة المؤيدة لكلامه .. فعليه أن يعود إلى بغداد فى العشرين من الشهر القادم ومعه الأدلة .

- الأدلة ؟.

- نعم .. لقد حصل عليها بالفعل .. لقد علمت من صلاح حسن الذى ذكر لى الرسالة المتفق عليها وهى (نجح الجمل فى اجتياز ممر خيبر).

وهكذا علمت أنه نجح فى مهمته الصعبة وحصل على الأدلة الدامغة ولكن للأسف لقد علم أعداؤه بالأمر ولابد أنهم يعملون بكل طاقاتهم على منع عودته والقضاء عليه قبل أن يصل إلى بغداد ، أما إذا نجح فى الوصول إليها فقد أعدوا خطة لمحاصرة جميع القنصليات والسفارات لاصطياده قبل أن يصل إليها .. انظر .

وراح يقرأ على كروسبى عناوين بعض الصحف ..

(اغتيال مواطن انجليزى قادم من طهران إلى بغداد) . (مقتل تاجر كردى فى كمين بالجبل) .. (مقتل مواطن كردى على الحدود بتهمة التهريب) .. (العثور على جثة لمجهول على الحدود) .

ثم قال :

- إنك إذا نظرت إليها كل على حدها فسوف تجدها حوادث قتل عادية ولكن إذا تمعنت فى أوصاف القتيل فسوف تجده يشبه كارمايكل .. وهكذا تحققنا أنهم يريدون القضاء عليه بأى وسيلة قبل أن يصل إلى العراق .. أما إذا نجح فى الوصول فلابد أن الحملات ضده سوف تصبح أشد والحصار أقوى ، ولابد أن يحذر الجميع فهو لا يعلم أين يكمن الخطر .

- إن هذا أغرب من الخيال ياسيدى .

- نعم .. وللأسف فقد تسربت بعض من أخطر أسرارنا حتى أصبحت أشك فى جدوى تلك الإجراءات التى اتخذناها لحماية كارمايكل وأخشى أن يكون الأعداء قد علموا بها بطريقة ما .

أو أن يكون أحد عملائنا قد باعها لهم !!.

- وهل يساورك الشك فى أحد ؟.

- كلا .. ولابد أن نسير فى طريقنا المرسوم .

- وماذا عن كروفتون لى؟.

- سوف يحضر إلى بغداد .

* * *

بعد أن انصرف كروسبى جلس دايكن فى مكتبه وهو يفكر فى هذا الاجتماع الخطير الذى سيعقد فى مدينة بغداد ، ثم رسم دائرة أمامه وكتب بداخلها كلمة بغداد ، ثم رسم صور الجمل وقطار وباخرة وطائرة كلها تتجه إلى بغداد .. وفى ركن الصورة رسم صورة لنسيج العنكبوت وكتب تحتها(هيلين شيل) . ثم وضع أسفل الرسم كله علامة أستفهام كبيرة .. ثم غادر المكتب .

كان هناك رجلان ينظران إليه فى شارع الرشيد .. سأل أحدهما الآخر عنه فقال له الآخر إنه مستر دايكن الذى يعمل فى إحدى شركات البترول ويبدو أنه لا يصلح لشئ فهو يسرف فى الشراب .

* * *

قال مستر مورجنتال لهيلين شيل :

– من فضلك أريد ملف أملاك مورجنتال يامس شيل .

قدمت هيلين التقرير إلى رئيسها الذى قال لها :

– هل اقتنع ؟.

– أعتقد ذلك .

– وهل جاء شوارتز ؟ حسناً .. أرجو استدعاءه .

وبعد أن علمت هيلين إنه ليس بحاجة إليها أنصرفت .

كانت ذهبية الشعر لها عينان زرقاوان ووجه جامد دقيق الملامح .. ترتدى نظارة سميكة .. لم تكن هذه الصفات تعجب الرجال ورغم ذلك فقد نجحت فى عملها بفضل مواهبها المتمثلة فى قوة ذاكرتها وسرعة بديهتها

ونشاطها الجم ، وكان اوتومورجنتال المدير العام لبنك مورجنتال يقدر تماماً مواهب هيلين شيل ويمنحها مرتباً ضخماً ، وكان مستعداً لزيادته دائماً ، حيث كانت الفتاة تعلم كل شئ عن العمل بل وعن حياته الخاصة أيضاً فأصبح يعتمد عليها كل الاعتماد .

وعندما طلبت منه أجازة لمدة ثلاثة أسابيع اعتباراً من يوم الثلاثاء القادم دهش دهشة بالغة واعتذر عن تلبية هذا المطلب ولكنها قالت بإصرار لم يعهده من قبل :

– كلا يا مستر مورجنتال .. سوف أقوم بالأجازة وستحل مس ويجات محلى وقد تركت لها التعليمات اللازمة .

فسألها إن كانت مريضة،وهو واثق أنها لا تمرض وأن المرض يخشاها فقالت :

– كلا .. ولكننى أريد السفر إلى لندن من أجل زيارة أختى .

– أختك .. هل لك أخت ؟.

كانت هذه أول مرة يسمع أن لها أختاً ورغم أنها رافقته فى الخريف الماضى إلى لندن إلا أنها لم تذكر أختها ولو مرة واحدة .. فقالت وهى تبتسم تلك الابتسامة الجافة :

– نعم .. وهى متزوجة من أحد موظفى المتحف البريطانى وسوف تجرى لها جراحة خطيرة .

– لا أستطيع الاعتراض ولكننى أرجو أن تعودى بسرعة فالأسواق مضطربة كما تعلمين والتوتر على أشده بين المعكسرين الشرقى والغربى

والحرب تكاد تندلع بين لحظة وأخرى ، وهناك أنباء عن انعقاد مؤتمر للقمة في بغداد .. ولكن هذا جنون .. ألا يعلم الرئيس الأمريكى أن حياته مهددة بالخطر ؟.

– لابد أن هناك إجراءات أمن مشددة وحراسة قوية .

– كل هذا لا يمنع عمليات الاغتيال .. ليته لا يفكر فى الحضور إلى بغداد .. إن ما يفكر فيه يعد ضرباً من الجنون .

* * *

لم تكن ڤيكتوريا جونز ، تعلم إنها مقبلة على مغامرة حافلة بالمخاطر وهى جالسة فى هدوء يغمر الحزن وجهها .. كانت جالسة على أحد مقاعد حديقة فيتزجميس بلندن وهى تتذكر مأساتها .. كانت تتميز بالنشاط والذكاء وطيبة القلب وحب المغامرة .. أما أخطر عيوبها فهو حبها للكذب .

إنها تكذب من أجل الكذب فقط دون أن تفكر فيما ستجنيه من ورائه .. فإذا تأخرت عن العمل مثلاً فإنها تدعى أن حيواناً مفترساً هرب من السيرك وعطل المرور ، أو أن عصابة مسلحة قامت بمهاجمة المتجر الذى كانت فيه وإنها ساعدت الشرطة فى القبض على أفراد العصابة .

كانت ڤيكتوريا طويلة القامة .. متناسقة الجسم لديها موهبة تقليد الآخرين .. وهذه الموهبة هى سبب مأساتها الحالية .

كانت تعمل كاتبة اختزال فى محلات جرينهولز وسيمونز بلندن ، وفى صباح هذا اليوم قامت بتقليد زوجة مستر جرينهولز أمام زملائها للتسرية عنهم وهى تعلم أن مستر جرينهولز قد ذهب لمقابلة المحامى ولن يعود قبل

ساعة .. وبينما هى تقوم بتقليد الزوجة التى تطلب من زوجها أن يبتاع أريكة وهو يرفض وينفق نقوده على صديقته الشقراء وجدت زملاءها يكفون عن الضحك ويواصلون العمل بنشاط .. استدارت لتجد نفسها أمام مستر جرينهولز ، فصرخت وعجزت عن الكلام .. أما هو فقد اتجه إلى مكتبه دون أن ينطق بكلمة وبعد لحظات استدعاها فأعطاها ثلاثة جنيهات وطلب منها الرحيل فوراً .

لم تحاول الكذب هذه المرة بعد أن رأت نظرات التصميم فى عينى الرجل ابتسمت ببساطة وقالت :

– معك حق يا مستر جرينهولز .

دهش الرجل وهو يجدها تتقبل قرار الفصل ببساطة فقال :

– لقد أعطيتك أجر أسبوع ويتبقى لك تسعة بنسات .

اعتبرها هدية منى .. ولكننى أريد شهادة .

– شهادة .. حسناً .

ثم كتب على أحد أوراق الشركة بضعة سطور قدمها لها فقرأت :

(أشهد أن مس ڤيكتوريا جونز عملت كاتبة اختزال فى مكتبى لمدة شهرين وهى لا تعلم شيئاً عن الاختزال ، ولذلك فصلت من العمل الذى لا تصلح له على الإطلاق) .

وبعد إن انتهت قلبت شفتيها وقالت :

– هل أصبحت خطابات التوصية تكتب بهذه الصورة ؟.

– ومن قال إننى أكتب لك خطاب توصية ؟.

– على الأقل كان يمكنك أن تقول إننى أمينة وأعرف جيداً كيف أحافظ على الأسرار !!.

– تحافظين على الأسرار ؟.

فنظرت إليه بجراءة وقالت :

– نعم .. أحافظ على الأسرار !!.

وعلى الفور تذكر ما تعلمه من أسرار خطيرة عرفتها من خلال الرسائل التى أملاها عليها فكتب رسالة أخرى قال فيها :

(أشهد أن مس ڤيكتوريا جونز عملت بمكتبى لمدة شهرين ككاتبة اختزال وقد اضطررت للاستغناء عن خدماتها تحت ضغط الظروف الطارئة) .

وبعد أن قرأتها قالت :

– ليست شهادة جيدة ولكننى سأقبلها .

* * *

أخذت تتذكر هذه الأحداث التى انتهت بفصلها صباح اليوم وهى تشعر بالأسف على ضياع الوظيفة وإن كانت غير نادمة على التخلص من جرينهولز .. وقررت الشروع فى البحث عن عمل جديد وهى مهمة شاقة للغاية .. أخرجت بعض السندوتشات التى كانت تحملها معها لغدائها والتهمتها وماكادت تفعل حتى لمحت شاباً يجلس على الطرف الآخر لمقعدها ، نظرت إليه بطرف عينيها فوجدته أشقر الشعر أزرق العينين يدل

فكه البارز على قوة الإرادة .

بعد لحظات قال لها :

- طاب صباحك ياآنسة .. يبدو أن الجو جميل اليوم .

- طاب صباحك .

- هل تأتين إلى هنا دائماً ؟.

- نعم .

- إننى سئ الحظ .. فهذه هى المرة الأولى التى أحضر فيها إلى هنا .. ولكن هل هذه اللقيمات القليلة التى تناوليتها هى طعام غدائك ؟.

- نعم ..

- إنها غير كافية أبداً .. ولابد أنك فى حاجة إلى طعام جيد ، ما رأيك فى تناول الغداء معى فى شارع توتنهام فهناك ...

ولكنها قاطعته بحدة :

- شكراً لك .. إن هذا الطعام يكفينى تماماً ولست بحاجة إلى المزيد .

كانت تتوقع ألا يتوقف الشاب ولكنه صمت قليلاً ثم قال :

- اسمى أدوارد وأنت ؟.

-ڤيكتوريا .

- على اسم محطة فيكتوريا !.

- بل الملكة ڤيكتوريا .

– واسم عائلتك ؟.

– جونز ..

– إذن اسمك ڤيكتوريا جونز .. ولكنه اسم غير متناسق .

– معك حق .. كنت أفضل أن يكون جيني جونز أو ڤيكتوريا ويست مثلاً .

أخذ يقترح عليها بعض الأسماء ثم نظر إلى ساعته وقال

– إن الوقت يمر بسرعة ويجب على الذهاب لمقابلة رئيسى .. وأنت؟.

– ليس لدى عمل .. لقد فصلت اليوم .

فقال بلهجة تعبر عن الألم :

– إن هذا شئ مؤسف للغاية .

– ولكننى غير نادمة .. فسوف أعثر على عمل آخر سريعاً بالإضافة الى إننى ضحكت كثيراً .

وأخذت تقص عليه التفاصيل المضحكة مما جعله يغرق فى الضحك وبعد أن انتهت قال لها :

– لماذا لم تعملى بالتمثيل ؟ إنك موهوبة حقاً .

– أشكرك .. هيا حتى تلحق بموعدك مع رئيسك وإلا فصلت مثلى وأصبحت عاطلاً .

– معك حق فلن يمكننى العثور على عمل آخر بسهولة .. ولكن مهنة الاختزال مهنة طيبة .

- إننى للأسف لا أجيد الاختزال ولكن يمكننى العثور على عمل رغم ذلك فالاختزال مطلوب دائماً .. ولكن أنت ماذا تعمل ؟ أراهن إنك كنت طياراً فى الحرب .

- تماماً .. ولكننى الآن وبعد أن انتهت الحرب أصبحت موظفاً أقضى يومى بين الأوراق والملفات والأرقام .. إننى لا أصلح لشئ من ذلك .

ثم أخرج من جيبه آلة تصوير صغيرة وقال لها :

- هل تسمحين لى بالتقاط صورة لك .. إننى راحل غداً إلى بغداد .

فهتفت قائلة :

- إلى بغداد ؟!.

كانت تشعر بالدهشة وخيبة الأمل .

- نعم .. من الغريب إننى كنت سعيدا هذا الصباح لأننى سوف أرحل إلى بغداد أما الآن فأشعر بالأسف لقبول هذا العرض .

- وما هو العرض ؟.

- العمل مع الدكتور رابتون ، وهو أستاذ جامعى مهمته نشر الثقافة الانجليزية فى أنحاء العالم .

- وماذا ستعمل مع هذا الرجل المثقف ؟.

- سكرتير خاص ووصيف .. أعد له جواز السفر وأقوم بحجز التذاكر وأحدد له مواعيد السفر وأجهز له الحقائب .. إنها أعمال تافهة .

لم تجب ڤيكتوريا ، هى تشعر أنه على حق فابتسم وقال :

– لقد كدت أنسى موضوع الصورة .. أتسمحين لى بالتقاط صورة أمامية لك وأخرى جانبية ؟.

– نعم ..

وبعد أن انتهى من التقاط الصورتين قال :

– كم كنت أود البقاء هنا بعد أن عرفتك .

– ربما وجدت العمل فى بغداد أفضل مما تظن .

هز ادوارد رأسه وقال

– أشعر بأن العمل محاط بالريب والغموض .

– ولماذا تقول ذلك ؟.

– لا أعلم .. ربما كان مجرد شعور ولكننى أعتقد أنه صحيح .

– هل الدكتور رابتون هو الذى يثير ريبتك ؟.

– كلا ..إنه عالم مرموق أفنى حياته فى محراب العلم ، كما أنه محل ثقة العديد من الجامعات والهيئات العلمية .. سوف تتضح الأمور قريباً جداً وللأسف لا يمكننى دعوتك لمرافقتى .

– إننى أتمنى ذلك حقاً .

– وماذا ستفعلين ؟.

– سوف أبحث عن عمل حالاً فربما أمكنهم أن يجدوا لى عمل مناسباً فى مكتب سان جليد .

– أتمنى لك حظاً سعيداً يا ڤكيتوريا .. إلى اللقاء .. سوف أفكر فيك

كثيراً ..

- إلى اللقاء ياأدوارد .

وبعد انصرافه قررت أن تقترن به وأن ترحل إلى بغداد لتلتـقى به مـهما كانت العقبات أمامـها .. كان قراراً عجيباً ومتـهوراً ولكنها صممت على أن تنفذه !!.

★ ★ ★

الفصل الثانى

قصدت هيلين شيل إلى فندق سافوى ونزلت فى إحدى الغرف الفاخرة حيث تم استقبالها استقبالاً رائعاً يليق بممثلة بنك مورجنتال الأمريكى كانت بريطانيا فى هذا الوقت تخطب ود أمريكا وتسعى للحصول على المزيد من دولاراتها .

بعد أن اغتسلت هيلين واستبدلت ثيابها اتصلت برقم فى كنسجتون ثم غادرت الفندق إلى شارع بوند وتوقفت أمام محل كارتييه المشهور لتجارة المجوهرات .

وبعد لحظات توقفت سيارة أخرى كانت تقل رجلاً ظل يراقب مدخل الفندق طويلاً حتى شاهد هيلين تغادره فانطلق وراءها بسيارة أجرة .. وخلال الطريق أشار قائد السيارة الثانية إلى سائق إحدى السيارات الخاصة إشارة خفية فانطلق هذا الأخير وراء السيارتين .

كانت هذه السيارة تقل شخصين أحدهما شاب أشقر يتولى القيادة وبجواره فتاة أنيقة .. وقد سبقت هذه السيارة الخاصة سيارة الأجرة التى تستقلها هيلين وتوقفت فى شارع بوند ، حيث هبطت الفتاة ودخلت إلى محل

مجوهرات كارتييه وبعد قليل هبطت هيلين من سيارة الأجرة ودخلت إلى نفس المحل .

أخذت هيلين تتفحص عدد كبيرا من تشكيلات الحلى والمجوهرات وأخيراً اختارت ماسة ثمينة وزمردة أنيقة دفعت ثمنها بشيك مسحوب على بنك فى لندن .

هتف البائع :

- هل حضر معك مستر مورجنتال ؟.

- كلا ..

- إننى أعلم مدى اهتمامه بالزمرد ولدينا الآن مجموعة رائعة منه .. هل تحبين رؤيتها ؟.

- نعم .

شاهدت هيلين مجموعة رائعة من أحجار الزمرد ووعدت بأن تحدث مستر مورجنتال بشأنها .

انصرفت هيلين من المحل وتبعتها الفتاة التى سبقتها فى الدخول .. ولم تفعل شيئاً سوى السؤال عن ثمن بعض الأقراط ، وعندما دخلت هيلين محلاً لبيع الزهور تبعتها الفتاة أيضاً .

اشترت هيلين باقة من الورد الأحمر وأخرى من البنفسج ودفعت ثمنها وكان اثنى عشر جنيها وثمانية عشر شلناً بينما سألت الفتاة الأخرى عن ثمن باقة من زهور النرجس .

ذهبت هيلين بعد ذلك إلى شارع (سافيل رو) ، حيث دخلت إلى محل

أحد مشاهير مصممي الأزياء وكان متخصصاً في ملابس الرجال ولكنه كان يضع ملابس للنساء المميزات فقط ورحب بتفصيل تايير لهيلين .

استقلت هيلين سيارة أجرة عائدة إلى الفندق فتبعها الشاب الأول ودخل من الباب الخلفي للفندق والخاص بالخدم ورأى امرأة أمام الباب فسألها :

- هل انتهيت من تفتيش الغرفة ياهورتنس ؟.

- نعم .. ولكنني لم أعثر على شئ مهم ..

تناولت هيلين غذاءها في المطعم ثم صعدت إلى غرفتها ووقفت تراقب كل شئ بهدوء .. كانت الغرفة منسقة بعناية .. نظرت إلى حقائبها .. كانت الحقيبة الأولى مفتوحة كما تركتها فتفقدت محتوياتها ثم فتحت الأخرى وتناولت منها حقيبة أوراق ثم نثرت عليها مسحوقا مما يستعمل للزينة ثم نفخته وأخذت تدقق النظر في الغطاء ثم أشرق وجهها بابتسامة .

كانت قد تعمدت أن تمسك الحافظة بيدها الملوثة بالدهون هذا الصباح وكان من المفروض أن يلتصق بها المسحوق .. ولكن هذا لم يحدث فأدركت أن شخصا ما أو أشخاصا عبثوا بالحقيبة ثم أزالوا البصمات كلها حتى بصماتها ..

غادرت الفندق مرة أخرى واستقلت سيارة أجرة إلى شارع اينسلي وتوقفت أمام المنزل رقم ١٧ .

صعدت إلى الطابق الأول وقرعت الجرس .. وبعد قليل فتح الباب وأطلت منه إمرأة في الحلقة الرابعة من العمر أخذت تنظر إلى هيلين بارتياب ثم هتفت :

- أخيراً أنت .. سوف تسر ايلزا كثيراً عندما تراك .. كانت متأكدة من حضورك .. هيا بنا نذهب إليها حالاً ..

أخيراً وصلت هيلين إلى قاعة استقبال فخمة ، وفى أحد المقاعد كانت تجلس امرأة أخرى فى سن الشباب وما كادت ترى هيلين حتى هتفت :

- هيلين :

- ايلزا .

وتعانقتا بحرارة ثم قالت ايلزا :

- إن كل شئ معد الآن .. وسوف أذهب مساء اليوم و..

ولكن هيلين قاطعتها قائلة :

- لا داعى للقلق يا ايلزا فسوف ينتهى كل شئ على مايرام .

* * *

توقف هذا الرجل القصير الذى كان يراقب هيلين أمام أحد التليفونات العامة ثم أدار رقماً وسأل :

- هل هذه شركة اسطوانات فالهال ؟.

- نعم ..

- معك ساندرز .. إليك تقرير عن هـ. ش ، التى وصلت من نيويورك فى صباح اليوم .

ثم ابتاعت ماسة وزمردة من محل كارتييه بمبلغ مائة وعشرين جنيها وبعد ذلك اشترت باقتين من الزهور من جين كنيترت بمبلغ ١٢ جنيها و١٨

شلنا ، وطلبت أرسالهما إلى إحدى العيادات الطبية بميدان بورتلاند ، وبعد ذلك ذهبت إلى محل بولفورد للأزياء والذى يوجد فى سافيل رد ، وطلبت منهم أن يصنعوا لها تايير .

ورغم إن هذه المحلات عادية إلا أننا سوف نضعها تحت الرقابة ..

كما قمنا بزيارة غرفتها بفندق سافوى .. ولم نعثر على شئ غير عادى كانت فى حافظة أوراقها تقارير عن شركة ولفنشتاين ، كما وجدنا فى آلة التصوير فيلما جديدا لم يستخدم فاستبدلناه بفيلم مماثل .

ذهبت هـ.ش . بعد ذلك لزيارة أختها بمنزلها رقم ١٧ بشارع اينسلى وفى هذا المساء سوف تذهب أختها إلى إحدى العيادات الطبية بشارع بورتلاند لإجراء جراحة وذلك من واقع سجلات العيادة .

لايوجد فى سلوكها أى شئ مريب ، كما أنها لم تشعر بأن هناك من يراقبها ، وإن كانت قد شعرت فإنها لم تهتم على الاطلاق .

ربما قضت الليلة فى العيادة مع أختها ، وقد علمنا أنها حجزت مكاناً فى الطائرة كى تعود إلى نيويورك فى الثالث والعشرين من هذا الشهر .

ورأيى أننا نضيع وقتنا سدى فى مراقبة هذه الفتاة التى لم ألاحظ عليها سوى أنها تنفق المال بغير حساب ..

* * *

كانت ڤيكتوريا جونز تتمتع بقوة إرادة حديدية ولا تعرف معنى كلمة مستحيل .. لقد أحبت هذا الشاب المدعو أدوارد من أول نظرة وصممت على اللحاق به فى بغداد مهما كلفها ذلك وكانت واثقة من نجاحها فى

مهمتها رغم كل الصعبات التى تعرضها .. فسواء كان فى بلد قريب أم فى بلد بعيد فسوف تلحق به حيث يكون .

كانت تفكر بهدوء وهى تجتاز شارع موتنهام .. ترى ماذا تفعل فى بغداد ؟ إن أدوارد يعمل فى المجالات الثقافية وهذه هى مهمة منظمة اليونسكو التى تستخدم فتيات لا يحملن مؤهلات جامعية مثلها .

فلابد من البحث عن وسيلة أخرى لدخول العراق .

ذهبت أولاً إلى شركة سياحة وعلمت أن الوصول إلى العراق سهل وميسور بالطائرة وبالسفن حتى ميناء البصرة وقررت أن تسافر بالطائرة حتى لا تواجه صعوبات فى الحصول على عدد كبير من التأشيرات .

كانت تكلفة الرحلة تتروا ح بين ٦٠٠ و ١٠٠ جنيه ، وهذا شئ مزعج فهى لم تكن تمتلك سوى ثلاثة جنيهات و١٢ شلنًا فقط بالإضافة إلى ٥ جنيهات مدخرة فى صندوق التوفير .

كانت تمر بإحدى شركات الطيران فدخلت وسألت عن حاجتها إلى مضيفات ولكن الجواب كان بالنفى .. ذهبت بعد ذلك إلى مكتب التوظيف المعروف باسم (سان جتريك) ، وما كادت مس سبنسر صاحبة المكتب تراها حتى هتفت :

– مس جونز .. لقد عدت إلينا سريعاً .. ترى ماذا حدث .

– لقد تركت الوظيفة الأخيرة .. وأريد عملاً آخر .

أخذت مس سنبسر تراجع دفاترها للبحث عن عمل ملائم لفيكتوريا التى قالت :

- مس سنبسر .. إننى أريد عملاً فى بغداد ..

- بغداد ؟!.

تطلعت إليها مس سنبسر فى دهشة ثم قالت :

- هل تريدين العمل كسكرتيرة ؟.

- لا مانع ، ويمكننى أيضاً أن أعمل ممرضة أو مربية أطفال أو حتى طاهية .. كل مايهمنى هو الذهاب إلى بغداد .

أن الأمل ضعيف فى تلبية طلبك حالياً .. بالأمس كانت إحدى السيدات تطلب مرافقة لابنتها إلى استراليا .

- كلا .. إننى أريد مجرد الوصول إلى بغداد وهناك يمكننى العثور على عمل مناسب .

بعد أن غادرت المكتب ابتاعت إحدى الصحف فوجدت فيها الكثير عن بغداد .. الدكتور بونسفوت جونز .. عالم الآثار الشهير يقوم بحفريات أثرية على بعد عشرين ميلاً من بغداد . إعلان لشركة شحن عن إمكانية نقل البضائع إلى بغداد عن طريق البصرة ثم النقل بالقطارات إعلان عن فيلم لص بغداد .. إعلان عن كتاب هارون الرشيد .. شعرت أن العالم كله يتحدث عن بغداد رغم إنها لم تنتبه إلى هذه المدينة إلا فى الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم .

ورغم الصعوبات التى لاحت لها إلا إنها كانت مصممة على الوصول إلى بغداد بأى وسيلة وقررت أن تتخذ العديد من الوسائل التى تهيئ لها سبيل السفر إلى بغداد عن طريق نشر إعلان فى الصحف عن طلب وظيفة هناك

فى وزارة الخارجية وفى شركات الملاحة وشركات الاستيراد .. كما أخذت تفكر فى كيفية الحصول على مبلغ مائة جنيه

* * *

فى صباح اليوم التالى استيقظت ڤيكتوريا جونز مبكرة وهى تفكر فى الخطوات التى ستقوم بها لتحقيق الهدف ، ولكنها بمجرد أن انتهت من إرتداء ثيابها سمعت جرس التليفون يرن .. رفعت السماعة فوجدت أن المتحدثة هى مس سنبسر ، التى هتفت قائلة :

- لقد حدثت مصادفة عجيبة بالأمس يا مس جونز .

- مصادفة ؟.

- نعم .. لقد اتصلت بى سيدة تدعى مسز هاملتون كليب أصيبت بكسر فى ذراعها وتطلب فتاة لمرافقتها فى السفر إلى بغداد .

- يجب أن أسرع إليها قبل أن تتصل بمكاتب أخرى للتشغيل .. أين تقيم مسز هاملتون هذه ؟.

- فى فندق ساڤوى .. وقد اتصل بى زوجها .

ارتدت ڤيكتوريا ملابس أخرى أكثر أناقة كما صففت شعرها بطريقة تدل على الرزانة والوقار ثم غادرت منزلها واستقلت الأتوبيس .. كانت تجلس بجوارها سيدة تطالع جريدة .. ولمحت ڤيكتوريا فيها نبأ مغادرة الليدى كانيثيا برادبورى البلاد فى طريقها إلى غرب أفريقيا .

ذهبت أولاً إلى فندق ريتزحيث كتبت على أحد أوراقه شهادة موقعة من الليدى كانيثيا تشهد فيها بحسن أخلاق ڤيكتوريا جونز .

ثم ذهبت بعد ذلك إلى فندق بالدرتون ، الذى ينزل فيه دائماً كبار رجال الكنيسة فكتبت شهادة أخرى على أوراق الفندق وبخط مختلف تماماً عن الشهادة الأولى تطرى فيها أخلاق وسلوك ڤيكتوريا جونز ووقعتها باسم الأسقف لانجو .

دخلت إلى فندق ساڤوى بخطوات ثابتة يحدوها الأمل فى القبول لدى مسز هاملتون وطلبت من موظف الاستقبال أن يوصلها بها ولكنه قال :

- هذا هو مستر هاملتون كليب .

كان رجلاً طويل القامة يدل مظهره على أنه أمريكى .. اقتربت منه وذكرت اسمها بلهجة تنم عن الوقار والجدية وذكرت له إنها قادمة من قبل مكتب سان جتريك للتوظيف فقال :

- مرحباً بك يامس جونز .. هيا بنا نصعد إلى غرفة مسز كليب .. ولكننى أعتقد إن فتاة أخرى قد صعدت إليه لنفس الغرض .

شعرت ڤيكتوريا بالدوار والقلق البالغ .. فبعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق حلمها يضيع كل شئ هكذا ببساطة .

سارا معاً فى دهليز الطابق الثالث حيث تلقت ڤيكتوريا مفاجأة مذهلة ..

فقد لمحت أمامها فتاة ما كادت تنظر إليها حتى ظنت نفسها تنظر إلى المرآة .. كانت تشبهها إلى درجة مذهلة .. ولفت نظر ڤيكتوريا التايير الأنيق الذى كانت ترتديه الفتاة .

ما كادت تمر بهما حتى التفت إليها مستر كليب وغمغم قائلاً :

- ياللشيطان هيلين شيل هنا .. هذا آخر ما كنت أتوقعه .

وانتبه إلى وجود ڤيكتوريا بجانبه فقال :

– أرجو المعذرة يا آنسة .. لقد دهشت لمقابلة هذه الفتاة هنا فى لندن رغم أننى قابلتها فى نيويورك منذ أيام قلائل إنها تعمل سكرتيرة لأحد كبار رجال المال فى العالم .

طرق الباب ثم دخل حيث كانت زوجته تجلس فى مقعد بالقرب من النافذة وما كادت تراهما حتى نهضت لاستقبالهما .. كانت قصيرة القامة .. ضيقة العينين .. شدت ذراعها إلى عنقها .

وبعد أن قدم مستر كليب زوجته إلى الفتاة قالت الزوجة .

– أرأيت سوء الحظ الذى صادفنى يا مس جونز ؟ كنا فى طريقنا إلى بغداد لزيارة ابنتى التى لم أرها منذ عامين ولكننى أردت زيارة معالم لندن قبل الذهاب إلى هناك ، فكسرت ذراعى على سلم دير وستمنستر .. إننى أشعر بالضيق الشديد والعجز عن السفر بمفردى لأن زوجى سوف يبقى هنا لمدة ثلاثة أسابيع حتى ينتهى من أعماله قبل أن يلحق بى فى بغداد ، ولذلك فكرت فى البحث عن ممرضة تصحبنى إلى بغداد مباشرة فلن أكون بحاجة إليها بعد أن أصل إلى بغداد وأكون فى رعاية ابنتى وزوجها .

قالت ڤيكتوريا بتواضع إنها ليست ممرضة محترفة ولكنها قامت بتمريض الليدى كانيثيا برادبورى ، خلال عام كامل .. ثم قدمت إليها الشهادة الموقعة منها ثم قالت :

– وبالإضافة إلى ذلك فإننى أجيد أعمال السكرتارية إجادة تامة حيث مارستها مع الأسقف لانجو .

وقدمت إليها الشهادة الموقعة من الأسقف وهى تتظاهر بالتواضع فقالت مسز كليب :

– إننى سعيدة للغاية بحضورك يا فتاتى العزيزة .. هل تعرفين أحداً فى بغداد يمكنه أن يعثر لك على وظيفة هناك ؟.

وكان هذا السؤال مفاجئاً لڤيكتوريا التى لم تحسب له حساباً .. لقد فكرت فقط فى الشهادات وتسلحت بها .. أما سبب السفر إلى بغداد فلم تفكر فيه ، ولكنها كانت سريعة البديهة .. ذكية فقالت على الفور :

– نعم .. سوف ألحق بعمى العالم الشهير الدكتور بونسفوت جونز .

– الدكتور جونز عالم الآثار ؟.

– نعم .. إننى أهتم بأعماله كثيراً ، وكنت أريد اللحاق به ولكن حال دون ذلك قلة الاعتمادات اللازمة .

شعرت ڤيكتوريا أنها تورطت فى الكذب ولكنها لم تجد سبيلاً أمامها للتراجع .. وتمادياً فى الكذب قالت :

– لقد سافر عمى الأسقف إلى اسكتلندا ولكن بإمكانك الاتصال بسكرتيرته الان للحصول على آية معلومات بشأنى ..

– لا داعى فالوقت لا يسمح بذلك .. هل لديك جواز سفرك ؟.

– رائع جداً .. يبدو أنك فتاة عملية للغاية .. سوف نحتاج إلى بعض التأشيرات فأرجو أن تعودى إلى هنا فى الرابعة حتى ننتهى من كل هذه الإجراءات ..

وفى المساء كانت كل الاجراءات قد انتهت واستعدت ڤيكتوريا للسفر مع مسز كليب إلى بغداد فى السابعة من صباح اليوم التالى .

الفصل الثالث

من الذى يصدق أن هذا الرجل ليس من أهل العراق ؟ وأنه انجليزى صميم ؟.

كان الرجل يرتدى جلباباً طويلاً فوقه سترة صفراء ممزقة وحول عنقه كوفية حمراء وراح يحدق فى الماء وهو غارق فى أفكاره .

كان القارب الذى استقله من شط العرب إلى البصرة يسير بفعل التيار القوى دون أن يبذل الشيخ عبد الله سليمان جهداً كبيراً فى توجيهه ، وكان القارب خالياً إلا من هذا المسافر الذى يتميز برثاثة هيئته وميله إلى الصمت .

لم يتخيل الشيخ عبد الله أوأحد غيره إن ذلك الرجل الصامت هو نفسه هنرى كارمايكل ، أشهر وأهم العملاء البريطانيين الذى يتحدث معظم اللغات الشرقية مثل العربية والفارسية والكردية والهندية والتركية ، كما يجيد لغات سكان الجبال ، ويعرف عدداً كبيراً من رجال القبائل ويستعين بهم كثيراً فى أعماله .

أخذ كارمايكل يتذكر كل ما مر به من أهوال جسيمة خلال الأيام القليلة

الماضية والكمائن المحكمة التى نصبت له فى كل مكان وكيف أفلت منها بما يشبه المعجزات ..

لم يكن كارمايكل مقيداً بخطة معينة وضعها له الرؤساء بل كان له مطلق الحرية فى التصرف كيفما يشاء ، ووضع هو خطة معقدة تكفل له الوصول بسلام إلى بغداد وكان حريصاً على أن يكتم هذه الخطة عن الجميع .. فقد حدثت له حادثة صغيرة أقنعته بأن كل ما يدلى به من معلومات إلى القيادة يتسرب إلى أعدائه بطريقة خفية غامضة .. فقد كان فى انتظار وصول طائرة فى مكان سرى لتقله إلى بغداد ولكن الطائرة لم تصل ووجد كميناً فى انتظاره هناك ولكنه نجح فى الإفلات منه بما يشبه المعجزة ..

وها هو الآن يقترب من مدينة البصرة بواسطة هذا القارب المتواضع .

قال له الشيخ عبد الله :

– هيا يا بنى .. لقد اقتربنا ..

– أرجو أن تعود الآن ياسيدى .. فلست أريد أن يصيبك أى مكروه.

ولكن الشيخ أصر على أن يقوم بتوصيل الشاب إلى الضفة القريبة ثم صافحه وقال :

– وفقك الله وحفظك من كل سوء ..

* * *

سار كارمايكل على ضفة النهر ثم اخترق شوارع المدينة وأسواقها وهو يسير فى تؤدة ودون أن ينظر حوله كأن شيئاً لا يعنيه .. كان هناك العديد من البائعين يبيعون مختلف أنواع الفواكه والخضروات والمنتجات الوطنية

كما رأى عدداً كبيراً من الأجانب وأغلبهم من الانجليز يسيرون بين الوطنيين كان معظمهممن أصحاب المحلات والموظفين فى البنوك..

اخترق كارمايكل الزحام ثم عبر الجسر وهو حريص على السير وسط الناس وهو واثق أن لا أحد يعرفه .. ولكنه رغم كل ذلك كان يشعر بأن هناك خطرا ما يحدق به .. كان شعوراً غريزياً قوياً قلما أخطأ .

أسرع فى سيره قليلاً ثم انعطف فى أحد الشوارع الجانبية ومنه إلى شارع آخر يتميز بالضيق وظل ينتقل من شارع إلى آخر حتى وصل إلى فناء متسع به عدد كبير من المحلات المختلفة .

توقف أمام محلاً لبيع الفراء والمنتجات الجلدية .. كان صاحب المحل فى هذه اللحظة يقدم القهوة إلى أحد عملائه يتميز بلحيته البيضاء وطربوشه المحاط بعمامة خضراء .. كان الرجل يتميز بالهيبة والوقار .

أشار كارمايكل إلى فراء معين وسأل التاجر قائلاً :

- ماثمن هذا الفراء ؟.

- سبعة دنانير ..

- إنه ثمن باهظ ..

قال الشيخ الوقور محدثاً التاجر ؟.

هل ستبعث إلى بالسجاجيد ؟.

- نعم .. هل سترحل غداً ؟.

- نعم .. سوف أذهب إلى كربلاء ..

قال كارمايكل :

- هل قلت كربلاء .. لقد ولدت هناك ورغم ذلك فلم أزر هذه المدينة منذ خمسة عشر عاماً .

قال التاجر :

- إذا كنت تريد أن تشترى فراءاً جيدا بثمن معقول فلدى ما تبحث عنه..

- أريد شراء فراء أبيض .

- يوجد لدى الكثير منه فى المخزن ..

ثم أشار إلى باب المخزن .. ورغم أن هذا الحديث عادياً للغاية إلا أنه تضمن كلمتى السر المتفق عليهما (الفراء الأبيض) و (كربلاء) ..

ذهب كارمايكل إلى المخزن برفقة التاجر وهناك نظر كارمايكل إلى وجه التاجر ولكنه تلقى صدمة مذهلة .

إنه ليس هو التاجر رغم أنه يشبهه إلى درجة عجيبة .. سأله بدهشة :

- وأين صلاح حسين ؟.

- أخى صلاح توفى منذ ثلاثة أشهر وقد حللت محله ..

كان صلاح حسن يعمل لدى المخابرات البريطانية وبالطبع لا يوجد مانع من أن يواصل أخوه العمل محله ، ورغم ذلك قرر كارمايكل أن يلزم جانب الحذر ..

كان المخزن مكدساً بمختلف أنواع الفراء والبضائع كما كانت الإضاءة به ضعيفة للغاية ، وفى وسط المخزن وجد مائدة عليها فراء أبيض ، فرفعه

ليجد تحته ثوباً أوربياً أنيقاً وبداخل جيوبه نقود وأوراق وأدرك أن كل الأمور تسير على مايرام .. وسوف يغادر المحل على إنه المستر والترويليامز ممثل شركة كروس للملاحة والتجارة ..

ولكن مستروالترويليامز ، ليس شخصية وهمية بل هو شخصية حقيقية وهو يعيش فى المدينة أيضاً .

أخذ يفحص الثياب التى أعدت له قبل أن يرتديها .. ولم يكن يعلم أن هناك من يتربص له ويهم بقتله .. كان رجلاً مختبئاً وسط أكداس الثياب يحمل فى يده خنجراً حاداً ذا نصل لامع .

لم يشعر به كارمايكل ولم يره ..ولكنه رأى بريق نصل الخنجر ينعكس على إحدى الأوانى النحاسية اللامعة فى اللحظة الأخيرة ، فلو انتظر ثانية واحدة لغاض الخنجر بين كتفيه ..

استدار كارمايكل بسرعة البرق وقبض بيده الحديدية على ذراع عدوه وألقاه أرضاً فسقط منه الخنجر .. ثم انطلق كارمايكل بسرعة مغادراً المحل واختفي فى زحام السوق .

بعد قليل هدأ من خطواته وأخذ يتأمل المعروضات وعقله يعمل بسرعة البرق .. فقد نجح أعداؤه فى الوصول إليه مرة أخرى رغم إنه كان واثقاً من النجاة .. وهاهو يصبح وحيداً مرة أخرى وسط الأخطار الشديدة .. ترى هل نجح الأعداء فى اختراق صفوف المخابرات البريطانية ؟.

إن هذا يبدو واضحاً للغاية فقد وجد الأعداء ينصبون له الكمائن التى ذهب إليها .. لاداعى لأن ينشغل فى بحث هذه المسألة المعقدة الآن ..

المهم هو موقفه فى هذه اللحظة .. أنه وحيد تماماً ولا توجد لديه أية وسائل للتنكر وأعداؤه يعرفونه تماماً .

فلماذا يفكر إذن ؟ سار بلا مبالاة عبر شوارع المدينة حتى وصل أخيراً إلى الشارع المؤدى للقنصلية البريطانية وقرر المخاطرة بالدخول إليها .. فليس أمامه سبيل غير ذلك .

* * *

جلس الشاب ريتشارد بيكر فى قاعة الانتظار بالقنصلية البريطانية استعداداً لمقابلة القنصل البريطانى .. كان قد وصل إلى البصرة فى الموعد المحدد تماماً فوجد أمامه ثمان وأربعين ساعة يمكنه أن يقضيها فى أى غرض قبل أن يواصل رحلته إلى مقر حفريات أستاذه الدكتور جونز فى المنطقة المعروفة بالتل الأسود .

قرر أن يذهب إلى منطقة مجاورة لحدود الكويت يقال أنها كانت مركزاً لاحدى الحضارات القديمة حتى يقوم ببعض الدراسات ثم يعود لمواصلة رحلته .. وجاء إلى القنصلية للحصول على تأشيرة دخول إلى الكويت حتى يتمكن من اللحاق بالطائرة التى ستقلع إلى الكويت فى العاشرة صباحاً ويمكنه العودة بنفس الطائرة فى مساء اليوم التالى .

كان بيكر قد اجتمع بمستر كلاتيون من قبل فى إيران خلال عمله هناك ، أما الآن فهو القنصل العام لبريطانيا فى البصرة ..

راح بيكر يتأمل أولئك الأشخاص الذين جلسوا فى قاعة الانتظار .. كان أحدهم رجلاً عربياً يرتدى جلباباً فوقه سترة صفراء بالية وكوفية حمراء

ويضع على رأسه عقالاً ويمسك فى يده بمسبحة ، وبالقرب منه جلس رجل انجليزى بدين أبيض الشعر والشارب يدون بعض الأرقام فى ورقة أمامه ويقوم ببعض العمليات الحسابية ، ومن الواضح أنه يعمل مندوباً لإحدى الشركات التجارية .

وكان هناك رجل أسمر البشرة تبدو على وجه دلائل الأرهاق فاستسلم للنوم فى مقعده الوثير .. وأخيراً رجل إيرانى يرتدى ثوباً أبيض ناصع البياض .

لاحظ بيكر شيئاً عجيباً .. كان الرجل الذى يرتدى السترة الصفراء يواصل تحريك حبات المسبحة بطريقة لفتت نظره .. وتذكر على الفور إشارات مورس التى تستخدم فى إرسال البرقيات .. شرطة .. نقطة .. نقطة .. شرطة ..

نعم إنها هى نفس الشفرة التى تعلمها خلال فترة خدمته فى صفوف الجيش .. أصاخ السمع وراح يحاول ترجمة هذه الإشارات حتى حصل على كلمتى (البومة - ايتون) .

البومة .. لابد أن هذا الرجل يعرفه ويعرف الاسم الذى أطلق عليه فى كلية ايتون حيث كان يضع على عينيه نظارة كبيرة ..

أخذ يتأمل الرجل جيداً .. كان رجلاً عربياً لا يختلف عن سواه من أهل البلاد ، أما نظراته فكانت بعيدة عنه .. واصل بيكر سماع نقرات حبات المسبحة فترجم ما يلى :

(أنا الفقير .. أريد مساعدتك) .

اه .. الفقير .. لابد أنه كارمايكل ، الذى أطلق عليه زملاؤه فى الكلية هذا الاسم لأنه ولد وعاش فى إحدى المناطق البعيدة مثل افغانستان أو تركستان أو الهند المليئة بالفقراء .

وعلى الفور أخرج بيكر غليونه من جيبه وراح يدق عليه كما لو كان ينفض منه بقايا التبغ وكانت رسالته (تسلمت رسالتك) .

ولكن الأحداث تلاحقت بعد ذلك بسرعة مذهلة .

نهض كارمايكل من مكانه متجها صوب الباب ولكن قدمه زلت أمام بيكر فاعتذر له وواصل طريقه ولكن الرجل الانجليزى البدين ترك أوراقه وأخرج مسدسه من جيبه بسرعة وصوبه نحو كارمايكل وفى لمح البصر انقض بيكر على يد الرجل بقبضته فسقط منه المسدس وانطلقت منه رصاصة استقرت فى الجدار المقابل بينما انطلق كارمايكل يعدو بكل طاقته خلال الدهليز الموصل إلى مكتب القنصل ثم اتجه ناحية اليسار ليجد نفسه فى حديقة فوثب من فوق السور واختفى وسط الزحام .

أمسك بيكر بساعد الرجل الانجليزى بينما ظل الآخرون على سكونهم .. قال بيكر بحدة :

– ماذا فعلت .. لماذا أخرجت مسدسك وأطلقت الرصاص ؟.

قال الرجل ببرود :

– إننى لم أطلق الرصاص .. إن الرصاصة انطلقت عندما سقط منى المسدس .

– كلا .. لقد كنت تريد إطلاق الرصاص على هذا الرجل العربى الذى

هرب منذ قليل .

- كنت أريد تخويفه فقط .. لقد باعنى قطعة أثرية مزيفة .

قرر بيكر أن يبتلع هذه الكذبة حتى لا يثير ضجة حول كارمايكل فهو يعلم تماماً أنه لا يريدها .

أما خادم السفارة فقد أخذ يحتج على هذا السلوك فى مبنى القنصلية فقال الانجليزى :

- إننى شديد الأسف لأنطلاق الرصاصة بالصدفة .. سوف أنصرف الآن وأعود لمقابلة القنصل فيما بعد .. وقدم بطاقته لبيكر وهو يقول :

- إننى أقيم بفندق المطار .. يمكنك أن تتصل بى هناك إذا حدث أى تطور ..

وبعد انصراف الرجل دعى بيكر لمقابلة القنصل فقال له :

- لقد تقابلنا منذ عامين فى طهران .. هل مازلت تذكرنى ؟.

- نعم أذكرك جيداً ، وأذكر أنك كنت تعمل مع الدكتور بونسفوت جونز ..

- لقد جئت معه ولكننى أود الذهاب إلى الكويت فى زيارة سريعة .. هل يوجد مانع .

- كلا .. على الإطلاق .. توجد طائرة تقلع إلى الكويت فى صباح الغد وسوف أتصل بمندوبنا هناك حتى يكون فى استقبالك ويمكنك أن تشرفنى بضيافتك هذه الليلة .

- أشكرك .. يمكننى قضاء الليلة فى فندق المطار .

- سوف تجده مزدحماً فى هذا الوقت .. سوف تسعد زوجتى بحضورك خصوصاً إن لدينا الآن ضيفين .. أحدهما هو مستر كروسبى الموظف بشركة البترول وآخر يعمل مع الدكتور رابتون ..

* * *

كان مستر كلايتون يقيم فوق مكاتب القنصلية وقد أحسنت زوجته استقبال ريتشارد بيكر وأنزلته بغرفة جيدة واستأذن القنصل للعودة إلى مكتبه لبحث أمر الحادث الذى وقع فى مبنى القنصلية فقال له بيكر :

- لقد شهدت هذا الحادث بنفسى حيث كان أحد الانجليز يود مداعبة أحد العرب ولكننى تمكنت من الإمساك بساعده فى الوقت المناسب .. وهذه بطاقة الرجل .

تناول القنصل البطاقة وقال :

- روبرت هول .. مصانع أشيل - انفلد .. ولكن لماذا كان يريد مقابلتى ؟ هل كان ثملاً ؟.

- لا أعلم .. ولكنه قال إن الرصاصة انطلقت بطريق الخطأ .

- إذا كان رجل أعمال فلماذا يحضر إلى القنصلية وهو يحمل مسدسه؟.

- ليتنى ما تركته ينصرف .

- فى هذه الأحوال دائماً لا يعرف المرء ماذا عليه أن يفعل .. ترى هل أصيب الرجل العربى ؟.

- كلا .. ولكننى أعتقد الأمور ليست بهذه البساطة .

- وأنا أيضاً ..

وبعد أن ذهب مستر كلايتون القنصل إلى عمله قدمت مسز كلايتون لبيكر بعض الشراب وسألته عن السبب فى رحلته إلى الكويت .. وسألته عن سبب عدم زواجه فقال لها إنه يهتم بعمله فقط فى الوقت الحالى .. فقالت له :

- هل تعمل معكم فتيات ؟.

- واحدة أو اثنتان فقط ..

دخل عليهما رجل قصير القامة قدمته مسز كلايتون لبيكر على أنه الكابتن كروسبى وقدمت بيكر له على أنه عالم آثار صغير .. فداعبه كروسبى بقوله إن العلماء يكذبون عندما يحددون عمر الآثار التى يكتشفونها ، وعندما غضب بيكر قال الرجل ضاحكاً :

- لقد كنت أداعبك .. ألا تعرف إلا الجد ؟!.

* * *

عندما انفرد بيكر بنفسه فى غرفته وضع يده فى جيبه فوجد ورقة مطوية لم يكن قد وضعها فيه فأخرجها وهو يعتقد أن كارمايكل هو الذى دسها عندما زلت قدمه أمامه واستند عليه .

كانت ورقة بالية كتبت منذ ثمانية عشر شهراً كما يدل التاريخ المدون عليها .

كانت عبارة عن خطاب توصية من الميجور ويلبر فورس ، بخصوص رجل يدعى أحمد محمد ويقول فيها (أنه رجل أمين نشيط ويجيد قيادة السيارات وإصلاحها) .

أخذ بيكر يفكر بعمق .. ما معنى كل هذا ؟ لابد أن هذه الوثيقة من الخطورة والأهمية أكثر من هذه الكلمات الجوفاء .. ولابد أن كارمايكل كان يتعرض لخطر شديد فلجأ إلى مبنى القنصلية ليحتمى به ، وإنه ماكاد يرى صديقه القديم حتى قرر أن ينقل إليه تلك الوثيقة الخطيرة حتى إذا ما قتله أعداؤه لم يجدوها معه ..

ويبدو أن هذا الرجل الانجليزى البدين كان متأهباً لقتله فى نفس اللحظة التى أنقذه فيها .. هل يمكن أن يحدث ذلك فى وضح النهار ؟ أيقتله فى مبنى القنصلية علناً ؟ إن الأمر يبدو عاجلاً وخطيراً للغاية .

ولكن ماذا يحدث إذا قتلوا كارمايكل ، ولم يجدو معه تلك الوثيقة ؟ لابد أنهم سيحاولون الحصول عليها من الشخص الذى انتقلت إليه وسيعثرون عليه فى النهاية .

فماذا يفعل بالوثيقة ؟ هل يقدمها إلى مستر كلايتون القنصل أم يحتفظ بها حتى يعود كارمايكل ويستردها ؟.

أخيراً قررأن يحتفظ بها وأن يبذل قصارى جهده فى المحافظة عليها .

اهتدى إلى حيلة بارعة فكتب وثيقة مشابهة لها تماماً ولكن بمضمون مختلف ثم وضعها أسفل حذائه وطواها عدة مرات حتى تبدو قديمة كالأخرى ثم وضعها فى جيبه ، أما الوثيقة الأصلية فقد غلفها فى قطعة من السلوفان ثم أحاطها بطبقة من الصلصال وجعلها فى صورة قطعة أثرية وضعها على مكتبه .

وفى صباح اليوم التالى وقبل أن يستقل الطائرة إلى الكويت اكتشف اختفاء الوثيقة المزيفة من جيبه !!..

الفصل الرابع

شعرت ڤيكتوريا جونز بسعادة طاغية وهى تجلس فى المطار مع مسز كليب .. طلب الموظف المختص من السادة المسافرين إلى القاهرة وبغداد وطهران الاستعداد ..

أخذت ڤيكتوريا تحلم بهذه البلاد الشرقية الساحرة الحافلة بالغموض والأسرار وتمنى النفس برحلة مثيرة حافلة بالمغامرات .. ولم تكن تعلم أنها ستكون طرفاً فى مغامرة عجيبة لم يسبق لها مثيل ..

أما مسز كليب فقد ظلت على هدوئها حيث زارت معظم بلاد العالم فى الشرق والغرب وتعد هذه الرحلة بالنسبة لها رحلة عادية للغاية ..

ورغم ثرثرة مسز كليب المتواصلة منذ أن التقت بڤيكتوريا فى الصباح الباكر إلا أن الأخيرة كانت تستمتع بكل لحظة تقضيها ..

أخذت مسز كليب تفحص المسافرين معهما وتعلق عليهم :

- ألا ترين هذين الطفلين الجميلين .. ولكن صحبة الأطفال مزعجة للغاية فى الطائرات ويبدو أنهما انجليزيان .. وهذا الرجل الذى يرتدى ثياباً

صارخة الألوان من الواضح أنه فرنسى .. والذى يجلس فى الناحية الأخرى يبدو أنه هولندى .. لا يوجد أحد من الأمريكيين معنا على الطائرة وهذا شئ يؤسف له .. ولكن ما الذى يحدث يا ڤيكتوريا ؟.

- ماذا يقلقك يا سيدتى ؟.

- ألا تلاحظين أننا نجلس هنا منذ حوالى ساعة وأن موعد قيام الطائرة قد مضى ؟.

أقبل رجل طويل القامة أبيض الشعر يحمل معطفه على ساعده ويضع فوق رأسه قبعة عريضة كقبعات أهل المكسيك ويحيط به عدد من موظفى شركة الطيران يحمل بعضهم حقائبه بينما كانوا يتحدثون معه باحترام شديد .. نعم ياسير روبرت .. بالطبع ياسير روبرت .. سوف تقلع الطائرة حالاً يا سير روبرت .

فقالت مسز كليب هامسة :

- من هذا السير روبرت ياڤيكتوريا ؟ من المؤكد أنه شخصية هامة للغاية .. ترى هل هو أحد الوزراء فى حكومتكم ؟.

- كلا .. لا أعتقد أنه وزير .

كان من الواضح أنه شخصية هامة للغاية حتى تنتظره الطائرة ولا تقوم إلا بعد أن يحضر ، وبعد أن صعد دعى بقية الركاب للصعود .

وأخيراً أقلعت الطائرة فأخرجت مسز كليب رواية من حقيبتها وأخذت تطالعها بينما راحت ڤيكتوريا تتطلع من النافذة .. أما السير روبرت ، فقد أرخى قبعته على وجهه واستغرق فى نوم عميق .

كانت الأمطار تتساقط بغزارة عندما وصلت الطائرة إلى مطار طرابلس ، وجاء عدد من كبار موظفى شركة الطيران لمرافقة السير روبرت ، إلى فندق المطار حيث نزل بالجناح الفاخر أما باقى الركاب فقد ذهبوا إلى الغرف العادية لقضاء الليلة ومواصلة الرحلة فى الصباح ..

صعدت فيكتوريا إلى غرفتها لاستبدال ثيابها وتصفيف شعرها بينما جلست مسز كليب تثرثر مع باقى المسافرين ، وعندما عادت فيكتوريا قالت لها سيدتها :

– أخيراً عرفت حقيقة هذا الرجل المهم .. أنه السير روبرت كرفتون لى الرحالة المشهور . . هل سمعت عنه ؟.

– نعم ..

ولم تكن كاذبة هذه المرة فقد طالعت عنه الكثير فى الصحف ورأت صورته منشورة عشرات المرات وقرأت عنه أنه يعرف الصين كما لا يعرفها أحد آخر ، كما إنه زار التبت وكردستان وأسيا الصغرى ويعرف هذه المناطق معرفة وثيقة وكأنه واحد من أهلها ، كما قام بتأليف عدد من الكتب التى يذكر فيها تفاصيل تلك الرحلات .

* * *

جلس رجل يطالع كتاباً فى الاقتصاد السياسى وكان ينظر إلى جهاز التليفون أمامه بين الحين والآخر .. كان هذا الرجل موظفاً فى شركة اسطوانات فالهالا التى تشغل مكاتبها الطابق الخامس فى هذه العمارة الضخمة بحى المال والأعمال بلندن ..

أخيراً دق جرس التليفون فتناول الرجل السماعة وقال :

– هنا شركة اسطوانات فالهالا ..

– أنا ساندرز .. لقد فقدنا أثر هـ . ش

قال موظف الشركة بصوت حاد :

– ماذا تقول ؟.

– لقد فقدنا كل أثر لهيلين شيل ..

– أيها الأحمق لا تذكر أى أسماء .. إن هذا يعد خطأ جسيماً .. كيف حدث ذلك ؟.

– لقد تعقبناها حتى وصلت إلى العيادة التى أجرت أختها فيها الجراحة.

– وماذا بعد ؟.

– علمنا أن الجراحة نجحت وتوقعنا أن تعود هـ . ش . إلى فندق سافوى ولكنها لم تغادر العيادة ، لقد راقبناها بكل دقة .

– ورغم هذه الدقة فقد غادرتها !!.

– للأسف .. هذا ما حدث .. ولكننا اكتشفنا الحقيقة فيما بعد وعرفنا أنها غادرت العيادة فى إحدى سيارات الإسعاف عقب الجراحة مباشرة .

– لقد نجحت فى خداعكم ..

– نعم .. ولكننى أقسم لك أنها لم تكن تشعر بنا ونحن نراقبها .. لقد كنا نعمل بحذر شديد نحن الثلاثة و ..

فقاطعة الرجل بحدة قائلاً :

– لا أريد سماع المزيد .. هل تعلم أين ذهبت بها سيارة الاسعاف ؟.

– نعم .. لقد ذهبت إلى مستشفى الجامعة .

– وماذا قالت المستشفى ؟

– قالوا إن السيارة حملت إليهم امرأة مريضة ومعها ممرضة ولكن الممرضة اختفت بعد أن قامت بتسليم المريضة ولا أحد يعلم أين ذهبت ولاشك أن الممرضة كانت هى هـ ، ش ..

– هل سألتم المريضة ؟.

– نعم .. وقالت أنها كانت تحت تأثير المخدر ولم تدر بشئ .

– إذن فقد خدعتكم هـ . ش .. ومن المحتمل أن تكون الآن فى أى مكان .

– نعم .. ولكن إذا عادت إلى فندق سافوى فإننا .

– إنها لن تعود إلى الفندق .

– ما رأيك .. هل نبحث عنها فى فنادق أخرى ؟.

– أعتقد أنكم لن تعثروا عليها فهى تعلم أن هذا هو أول شئ سوف تفعلونه .. كلا .. عليكم أن تبحثوا عنها فى الموانئ .. دوفروفولكستون وغيرهما .. وكذلك ابحثوا على قوائم شركات الطيران خاصة تلك التى تصل إلى مدينة بغداد .. ولا تبحثوا عن اسمها الحقيقى فمن المؤكد أنها لن تستخدمه .

– ولكن حقائبها مازالت فى فندق سافوى ، وعندما تطلبها فإننا .

– أعتقد أنها لن تطلبها .. إنها ليست غبية مثلك .. ولكن ما هى معلومات أختها عنها ؟.

– لا أظنها تعلم شيئاً .. فقد أخبرتنا الممرضة أن هـ . ش .. قالت لأختها إنها ذاهبة إلى مهمة فى باريس تتعلق بأعمال مستر مورجنتال وأنها ستقيم فى فندق ريتز ، وأنها سوف تعود إلى أمريكا فى الثالث والعشرين من الشهر الجارى .

– أى أنها لم تخبرها بشئ .. حسناً .. عليكم المبادرة إلى شركات الملاحة والطيران فمن المؤكد أنها سوف تسافر إلى بغداد ولكى تصل فى الوقت المناسب فلابد أن تستقل الطائرة .. أرجو ألا ترتكب أخطاء جديدة ياساندرز .. هذه هى فرصتك الأخيرة .

– نعم ياسيدى ..

★ ★ ★

الفصل الخامس

؛قف مستر ليونيل شريفنهام الملحق الشاب بسفارة بريطانيا فى بغداد ،رأ قلقاً فى مطار بغداد وهو ينظر إلى الطائرة البريطانية التى تحلق فى سماء دون أن تستطيع الهبوط بسبب عاصفة رملية شديدة غير متوقعة فى ىذا الوقت .. قال الشاب لصديقة هارولد :

– من المؤكد أن هذه الطائرة لن تتمكن من الهبوط وسوف تضطر للهبوط فى مطار البصرة .

– ولماذا أنت مهتم بها ؟ هل يوجد بها أحد الأشخاص المهمين ؟.

– نعم .. هناك شخص لا أعرف سوى أنه رحالة يقضى أوقاته فى التنقل عبر الدول .. ويبدو أنه شخصية هامة وللأسف لا يوجد أحد يستقبله إلا أنا فالسفير الجديد لم يصل حتى الآن ، ومستر لانسرون القائم بأعمال السفير فى اجازة بانجلترا ومستشار السفارة لشئون الشرق مستر رايس مصاب بحمى معوية شديدة ، ومستر بيست فى مهمة بطهران .. وهكذا لا يوجد سواى .. فلابد أن أكون بجوار هذا الضيف الهام حتى ألبى طلباته .. إننى لا أعرف ماذا أفعل ؟ هل أرسل إليه إحدى الطائرات الحربية لاحضاره ؟ أم

أحجز له مكاناً فى القطار الذى يغادر البصرة مساء اليوم ؟ لست أدرى ماذا أفعل ؟! ..

كان الشاب يشعر أنه فى ورطة شديدة وأن سوء الحظ يلازمه منذ أن تسلم عمله بالسفارة منذ ثلاثة أشهر وإن أى غلطة يرتكبها سوف تؤدى إلى ضياع مستقبله .

ولدهشته وجد الطائرة تهبط إلى أرض المطار بسلام وتقف فى المكان المحدد لها فشعر بأن عبئاً ثقيلاً قد أزيح عن صدره .

أخذ يراقب الركاب وهم يغادرون الطائرة ويبحث بينهم عن هذا الرجل المنتظر .. وأخيراً تعرف عليه من خلال القبعة الغريبة التى كان يضعها فوق رأسه .. أسرع نحوه مرحباً ثم عرفه بنفسه فرد عليه الرجل بأسلوب جاف يخلو من اللياقة ولكن شريفنهام ، تجاوز عن ذلك وصحب ضيفه إلى السيارة وقال له فى الطريق .

- لقد كنت أشعر بالقلق الشديد خشية ألا تتمكن الطائرة من الهبوط على أرض المطار بسبب العاصفة الرملية ، وفى هذه الحالة كانت ستهبط فى مطار البصرة و ..

ولكن الرجل قاطعه بطريقة قاسية وقال بغرور :

- من حسن الحظ أن هذا لم يحدث .. إنك لا تعلم مدى النتائج الخطيرة التى تترتب على أى تأخير قد أتعرض له .. لا أحد يمكنه تصور ذلك .

شعر الشاب بالضيق من هذا الرجل ولكنه قال باحترام :

- إننى أعلم ذلك جيداً ياسيدى ..

– متى سيصل السفير الجديد إلى بغداد ؟.

– حتى الآن لم يتحدد موعد وصوله ..

– سيكون شيئاً مؤسفاً ألا أتمكن من لقائه .. ترى هل مايزال رايس هنا ؟.

– نعم .. وهو يشغل منصب مستشار السفارة لشئون الشرق .

– إنه رجل قدير ويسعدنى أن التقى به .

– للأسف ياسيدى قد لا تستطيع مقابلته لأنه مريض للغاية ويبدو أنه أصيب بحمى معوية حادة وحالته الآن خطيرة للغاية .

فسأله السير روبرت بحدة :

– متى تم إدخاله إلى المستشفى ؟.

– أول أمس يا سيدى ..

– أول أمس .. ربما أصابته حمى شيل !!..

لم يكن ليونيل شريفنهام ، قد سمع عن هذه الحمى من قبل ولكنه قرر أن يلزم الصمت ، وفى الطريق وقبل أن تصل السيارة إلى مقر السفارة البريطانية قال السير روبرت للسائق :

– أرجو أن تتوقف أمام هذا المحل .

توقف السائق أمام محل صغير لبيع الأوانى الخزفية ، وفى هذه اللحظة شاهد شريفنهام رجلاً قصيراً يغادر المحل بسرعة ويتجه إلى الجسر ، وخيل إليه أنه الكابتن كروسبى الموظف بشركة البترول وكان قد التقى به

مرتين ..

بكل خفة ورشاقة وثب السير روبرت من السيارة ودخل إلى المحل حيث تناول أحد الأوانى الخزفية وأخذ يتحدث مع صاحب المحل باللغة العربية التى كان يتحدث بها بطلاقة عجيبة فلم يفهم شريفنهام شيئاً من حديثهما حيث كانت معرفته بالعربية قليلة للغاية .

أخذ السير روبرت يفحص العديد من الأوانى ويلقى بأسئلته وصاحب المحل يجيب على كل الأسئلة بسرعة .

وأخيراً انتقى السير روبرت آنية خزفية ذات عنق ضيق وطويل ودفع ثمنها لصاحب المحل ثم عاد إلى السيارة ، وقال لشريفنهام :

– من العجيب إن طريقة صناعة هذه الأوانى لم تختلف منذ آلاف السنين .

– ولكنها مصنوعة بطريقة بدائية للغاية .

– نعم .. فربما لا تكون لها قيمة من الناحية الفنية ولكنها تكمل مجموعتى الضخمة من الأوانى الخزفية ..

* * *

من العجيب أن السير روبرت ، رغم اهتمامه الشديد بالآنية الخزفية قد نسيها فى السيارة وفتر اعجابه بها مما أدهش ليونيل شريفنهام ، ذهب السير روبرت إلى غرفته فأغلق الباب خلفه جيداً ثم بسط الورقة الصغيرة التى أخرجها من عنق الآنية الخزفية فوجد بها سطرين فقط قرأهما ثم أحرق الورقة جيداً ..

دق الجرس وعندما أقبل الخادم طلب منه استدعاء مستر شريفنهام فوراً وبعد أن حضر الشاب قال له السير روبرت :

– لقد طرأ تعديل هام على برنامج رحلتى ولكن أرجو أن يظل الأمر فى طى الكتمان .

– يمكنك الاعتماد على ياسيدى .

– إننى لم أقم بزيارة بغداد منذ فترة طويلة .. فهل مازالت الفنادق توجد على الضفة الأخرى لنهر دجلة ؟.

– نعم .. يوجد الكثير من الفنادق فى شارع الرشيد .. وأكبرها هو فندق بابل الفخم .

– هل تعرف فندق تيو ؟.

– نعم فهو من الفنادق الشهيرة ، كما يتميز بطعامه الجيد ، وصاحب هذا الفندق هو (ماركوس تيو) ، المعروف بغرابة أطواره .

– أرجو أن تحجز لى غرفة فى هذا الفندق .

عقدت الدهشة لسان الشاب وظن أن هناك خطأ ما فقال بأدب :

– هل تعنى ياسيدى إنك لن تقيم هنا فى السفارة ؟ لقد وفرنا لك كل وسائل الراحة و ..

ولكن السير روبرت قاطعة قائلاً :

– إننى أعلم بذلك وأشكركم كثيراً ولكننى سوف أقوم ببعض المفاوضات السرية الخطيرة ولابد لى من الانتقال إلى هناك حتى يمكننى العمل بحرية ،

فمن الصعب إجراء هذه المفاوضات هنا ..

ولذلك فسوف أغادر السفارة سراً .. فأرجو أن تحجز لى غرفة بفندق تيو كما أريد مقعداً فى الطائرة المتجة إلي القاهرة فى صباح بعد غد .

- ولكننى أعلم أنك سوف تقضى خمسة أيام هنا ..

- لقد أخبرتك منذ قليل إن هناك تغيراً طرأ على برنامج رحلتي ولابد لى من مغادرة بغداد فور أنتهاء مهمتى والذهاب إلى القاهرة .. إننى هنا معرض لخطر شديد على حياتى..

- خطر على حياتك ؟.

ابتسم الرجل برقة أدهشت ليونيل شريفنهام ، للغاية واستطرد قائلاً :

- لا تظن إننى أخشى على حياتى إن الأمر يتعلق بحياة آخرين غيرى ، فأرجو أن تنفذ تعليماتى بكل دقة ، ولن أغادر غرفتى هنا قبل المساء ، وسوف أنصرف من السفارة سراً ولا حاجة بى إلى سيارة تقلنى إلى فندق تيو .

ولا تنسى إننى مريض بالملاريا ولن أتناول أى طعام .

- يمكننا إحضار الطعام إليك فى غرفتك .

- لا داعى لذلك .. أرجو أن تنفذ كل ما قلت لك بدقة ..

* * *

أخيراً وصلت ڤيكتوريا جونز إلى بغداد ..

ولكنها شعرت بخيبة أمل عظيمة بعد كل هذا الجهد المحموم الذى بذلته

للوصول إليها فالشوارع مزدحمة مليئة بالغبار والجو حار خانق ..

أخذت تراقب هذه المناظر وهى فى طريقها إلى فندق تيو بصحبة مسز كليب ، وعندما وصلا حرص مستر ماركوس ماتيو ، صاحب الفندق على استقبالهما بنفسه .. لم يكن ماثيو عجوزاً ولكنه كان ضخم الجثة مترهل الجسد . قال لمسز كليب بلهجة مسرحية :

– مرحباً بك ياسيدتى .. نحن سعداء للغاية بحضورك ولكن ماذا حدث لذراعك ؟ كنت أخشى ألا تتمكن الطائرة من الهبوط بمطار بغداد .. إن الجو عاصف اليوم .. آه ماهذا .. يبدو أنك أحضرت معك شابة حسناء .. إننا نرحب بالحسناوات هنا .

ثم قدم إليهما بعض الشراب قبل أن يصعدا إلى غرفتيهما .. نظرت ڤيكتوريا إلى المرآة فوجدت أن الرمال قد أفسدت شعرها ، فاغتسلت وتناولت طعاماً شهياً اشتهر به الفندق ثم نامت حوالى ساعة ، وعندما استيقظت كانت قد استعادت نشاطها وتألقها ..

هدأت العاصفة الترابية أخيراً وصفت السماء وتألق نهر دجلة تحت ضوء القمر الفضى ، وفيما هى غارقة فى تأملاتها سمعت حديثاً يجرى بين شخصين فى حديقة الفندق أسفل الشرفة التى تجلس بها .. أطلت من فوق سور الشرفة فوجدت مسز كليب تتحدث مع سيدة انجليزية غلبها طابع الفضول ..

قالت مسز كليب :

– إنها من أظرف الفتيات التى قابلتهن فى حياتى ولا أعلم ماذا كنت

أفعل بدونها .. إنها ابنة أخ الأسقف لانجو ..

- الأسقف من ؟.

- الأسقف لانجو .. أعتقد أنها قالت ذلك ..

- لا يوجد اسقف بهذا الاسم ..

شعرت ڤيكتوريا بالقلق عندما سمعت ذلك وأدركت أن هذه المرأة الانجليزية لا يسهل خداعها وسمعت مسز كليب تقول :

- ربما سمعت الاسم خطأ منها .. المهم إنها فتاة ظريفة ومهذبة للغاية..

وأدركت ڤيكتوريا أن المرأة لم تكن مقتنعة بما ذكرته مسز كليب وقررت أن تتجنبها تماماً ..

استلقت في فراشها وأخذت تفكر في أحوالها .. كانت تقيم في فندق تيو الفخم ولا تملك إلا أربعة جنيهات وسبعة شلنات،وقد تناولت غذاءً شهياً ومن المؤكد أن مسز كليب لن تدفع ثمنه لأن الإتفاق بينهما يقضى بتوصيلها إلى بغداد فقط وأنها غير مسئولة عنها بعد ذلك فلابد أن ترحل إلى مدينة كركوك في المساء .. ولكن ترى هل ستمنحها مسز كليب آية نقود ؟ إنها لا تعلم شيئاًعن تلك الأزمة المالية التى تواجهها .

إن مسز كليب إمرأة طيبة القلب حقاً ولكنها لا تستطيع أن تطلب منها المساعدة ولا يوجد أمامها إلا شخص واحد فقط وهو ادوارد .. ترى أين هو الآن ؟ وكيف تصل إليه ؟.

واكتشفت شيئاً عجيباً ..

إنها لا تعرف بقية اسمه ، ولا تعرف إلا أنه ادوارد فقط .

ولكن من حسن الحظ أنها علمت أنه يعمل لدى الدكتور راتبون ولا يوجد أحد لا يعرف هذا العالم المشهور عنما هبطت ڤيكتوريا إلى البهو كانت تتألق حسناً فاستقبلها مستر ماتيو بابتسامة مشرقة وقال لها :

– إننى سعيد للغاية برؤيتك يا مس جونز .. وأرجو أن توافقى على تناول أى مشروب معى .. اضطرت ڤيكتوريا للموافقة حتى يمكنها الحصول على ما تريد من معلومات بطريقة سهلة .

سألت الرجل قائلة :

– أعتقد أنك تعرف عددا كبيرا من الناس يا مستر ماتيو .

– نعم .. لا أحد ينزل بغداد ولا أعرفه كما أن الجميع يعرفوننى ويحبون فندقى .

– بالتأكيد .. ترى هل تعرف الدكتور راتبون ؟.

– حضر القائد الأعلى لسلاح الطيران فى الأسبوع الماضى وهو صديق لى وقد أخبرنى أننى قد أصبحت بدينا للغاية و..

فقاطعته ڤيكتوريا وقد ضاقت بثرثرته وقالت :

– ماذا عن الدكتور راتبون ؟

– أما مسز كليب فهى امرأة ثرثارة للغاية ولكنها ظريفة مثل مستر سومرز الأمريكى الذى يقضى يومه الأول هنا فى اللهو والشراب ثم يقضى الأيام التالية فى فراشه ..

– مستر ماتيو .. إننى أريد مقابلة الدكتور راتبون .. لقد وصل إلى بغداد منذ بضعة أيام .

– الدكتور راتبون .. للأسف .. إننى لا أعرف هذا الرجل فهو ليس من عملاء فندقى .

– هل يمكنك أن تتخيل الفندق الذى يمكن أن ينزل به ؟.

– هناك الكثير من الفنادق الفخمة ولكن فندقى هو أجملها .

وأدركت ڤيكتوريا أنها لن تحصل على آية معلومات هامة من هذا الرجل الثرثار الذى أضاع وقتها سدى فى الحديث عن نفسه وعن فندقه .

استأذنت من الرجل وعادت إلى الشرفة .. راحت تتأمل النهر وهى تشعر بالحيرة الشديدة .. بعد لحظات سمعت خلفها صوتا يقول :

– احترسى من تقلب الجو هنا ياآنسة .. فهو ليس كجو انجلترا .. إن الجو حار نهاراً شديد البرودة ليلاً .

استدارت ڤيكتوريا لتجد خلفها المرأة الانجليزية التى كانت تتحدث مع مسز كليب وقررت أن تتجنبها .. قالت لها :

– شكراً لك ياسيدتى ..

ثم نهضت بسرعة لتعود إلى غرفتها ، ولكن السيدة لم تدعها تنصرف فقالت لها :

– إننى لم أقدم نفسى إليك .. أنا مسز كارديو ترنيش .. أعتقد أنك جئت إلى بغداد بصحبة مسز هاملتون كليب تلك المرأة الأمريكية .

– نعم ..

– وقد ذكرت لى أنك ابنة أخ الأسقف لانجو .. ولاشك أنها أخطأت فى

دلك   ثم ابتسمت ابتسامة خبيثة فقالت ڤيكتوريا .

- للأسف فإن الأمريكيين لا يفرقون بين لانجو ولانجاو ..إن عمى هو اسقف لانجاو ..

- لانجاو ؟.

- إنها جزيرة صغيرة فى المحيط الهادى .

لم تكن قد سمعت عن هذه الجزيرة من قبل فقالت :

- نعم .. ولكن ماذا تفعلين هنا فى بغداد ؟.

ماذا تقول لها ؟ هل تقول أنها حضرت للبحث عن شاب تحدثت معه لمدة نصف ساعة فقط ؟. إن هذا غير معقول .. فقالت لها مواصلة سلسلة أكاذيبها .

- إننى هنا لكى ألحق ببعثة عمى الدكتور بونسفوت جونز ..

- الدكتور بونسفت جونز .. إنه رجل ظريف للغاية ولكن يعيبه أنه سريع النسيان فقد حضرت إحدى محاضراته فى لندن العام الماضى ولم أفهم منه كلمة واحدة .. وأعتقد أنه مر ببغداد منذ حوالى اسبوعين وقال إن بعض الفتيات سوف تلحق به .

شعرت ڤيكتوريا أن الحظ خدمها هذه المرة فقالت :

- وهل تعرفين الدكتور راتبون ؟ هل هو ببغداد حالياً ؟.

- إننى أعرفه وقد سمعت أنه سيلقى محاضرة فى معهد السياسة الخميس القادم عنوانها (الوفاق فى العلاقات الدولية) .. إنه يحاول البحث

عن أساس مشترك للتقريب بين الدول المختلفة ، ولكن للأسف هذه المحاولات لا تؤدى إلا للمزيد من التباعد بين الشعوب . ولست أرى أية فائدة لقيامه بترجمة أعمال شكسبير وغيره من الأدباء الغربيين إلى اللغات الشرقية المختلفة ..

قالت ڤيكتوريا بهدوء :

– هل تعلمين أين يقيم حالياً ؟.

– أعتقد أنه يقيم بفندق (بابل بالاس) ، أما مقر عمله فهو المعهد المعروف باسم (معهد غصن الزيتون) .. ويقع هذا المعهد بالقرب من المتحف الوطنى على بعد أمتار قليلة من سوق النحاس .

إن اسم هذا المعهد يبعث على الضحك وتتردد عليه شخصيات عجيبة تبعث على السخرية كأنهم اعضاء فى إحدى الفرق المسرحية .

– إننى أعرف سكرتير الدكتور راتبون .

هتفت المرأة قائلة :

– تقصدين هذا الشاب الوسيم ؟ هل تعرفين اسمه ؟.

– نعم اسمه ادوارد ..

– نعم .. اسمه ادوارد لقد تذكرت الآن .. لقد ظلموا هذا الشاب عندما وضعوه فى هذا المعهد بعد أن أبلى بلاءً حسناً فى الحرب ، مسكين لابد انه لم يعثر على وظيفة فاضطر لقبول العمل مع الدكتور راتبون إن الفتيات هائمات به

ترى كيف حال مسز بونسفوت جونز .. لقد سمعت إنها مريضة ؟

قررت ڤيكتوريا أن تنسحب بعد أن عرفت كل هذا القدر من المعلومات فتجاهلت السؤال ونهضت قائمة وهى تنظر إلى ساعتها وتقول بجزع :

– ما هذا لقد بلغت الساعة الآن السادسة والنصف .. إن مسز كليب بانتظارى كى أساعدها على ارتداء ثيابها .. سوف أذهب إليها .

كانت تشعر بالسعادة الطاغية .. فسوف تلتقى غداً بادوارد هنا فى بغداد وتخيلت موقفه حينما يتلقى هذه المفاجأة غير المتوقعة .

تناولت مع مسز كليب طعام العشاء ثم رافقتها إلى محطة القطار ثم صعدت معها إلى القطار الذاهب إلى مدينة كركوك وأجلستها فى مقعدها وأوصت بها بعض المسافرات المجاورات لها .

وقبل أن يتحرك القطار وضعت مسز كليب فى يد ڤيكتوريا مظروفاً كبيراً وقالت لها :

– أرجو أن تقبلى هذه الهدية يامسز جونز .

– لا داعى لذلك يا مسز كليب .. إننى شاكرة للغاية .

عادت ڤيكتوريا إلى غرفتها بالفندق وفتحت المظروف بأصابع ترتجف . ولكنها تلقت مفاجأة قاسية .

كان المظروف يحتوى على جورب من النايلون وكانت تأمل أن يكون به بعض النقود التى هى فى أشد الحاجة إليها الآن .. ولكن يبدو أن السيدة الرقيقة رأت أن هذا العمل سوف يسبب حرجاً للفتاة .

لم تحزن ڤيكتوريا على هذه النتيجة لأنها سوف تلتقى بادوارد غداً وستحل كل مشاكلها عندئذ .

وبعد قليل كانت تغط فى نوم عميق ..

الفصل السادس

عندما استيقظت ڤيكتوريا جونز وجدت الشمس مشرقة .. ارتدت ثيابها بسرعة وأطلت من شرفة غرفتها ولدهشتها البالغة وجدت رجلاً أشيب الشعر يجلس أمامها في الحديقة وعندما تحققت منه أدركت أنه السير روبرت كرفتون لي ..

وتعجبت .. كيف يقيم هذا الرجل المرموق هنا ولا يقيم في السفارة كما ينبغي لأمثاله ؟.

وجدت بجانبه نظارة مكبرة بينما كان هو ينظر نحو الحقول البعيدة فقالت لنفسها ربما كان الرجل من هواة مراقبة الطيور أثناء تحليقها في السماء ..

غادرت غرفتها ثم التقت بماركوس تيو فسألته :

– هل يقيم السير روبرت كرفتون لي هنا ؟.

– نعم .. إنه رجل ظريف للغاية .

– هل تعرفه ؟.

– بالتأكيد ..

وبعد أن تناولت طعام الإفطار ذهبت لتبحث عن معهد غصن الزيتون .. لقد قالت مسز كارديو ترينش ، إنه يقع بجوار المتحف الوطنى .. سألت عن المتحف وعرفت أنه يقع بعد شارع البنوك فى أحد الشوارع الضيقة بجوار الجسر ..

أخذت تخترق شوارع المدينة المزدحمة وعبرت الجسر دون أن تحاول السؤال مرة أخرى فوجدت نفسها أمام المتحف .

ترى أين هو معهد غصن الزيتون ؟.

كانت تجهل اللغة العربية تماماً ولذلك فشلت فى التفاهم مع التجار ، ولم تجد من يفهمها فواصلت السير كيفما اتفق ، وبعد قليل وجدت نفسها فى شارع ضيق انبعث منه ضجة شديدة .. كان هو سوق النحاس الذى ذكرته لها مسز كارديو ترنيش ..

شعرت بسعادة طاغية وهى تراقب عملية صناعة النحاس وطرقة وزخرفته وقضت فى السوق حوالى ساعة تراقب هذه العملية الرائعة ونسيت كل شئ عن المعهد .

وأخيراً أفاقت لنفسها وغادرت السوق الضيق ووجدت نفسها أمام لافته ضخمة تحمل اسم (معهد غصن الزيتون) .

دخلت إلى المبنى على الفور فوجدت دهليزاً طويلاً ينتهى بقاعة فسيحة بها بعض المقاعد والموائد ، ووجدت فوق الموائد عددا من الكتب والمجلات .

وكان بالغرفة عدد من الدواليب المليئة بالكتب كما رأت فتاة قادمة نحوها كانت ترتدى بنطلوناً من القطيفة وقميصاً برتقالى اللون أما وجهها فكان يدل على أنها شرقية ، سألتها الفتاة قائلة :

- أية خدمة يمكننى أن أقدمها لك ؟.

- هل هذا هو مقر الدكتور رابتون ؟.

- نعم .. هل تريدين الانضمام إلى معهد غصن الزيتون ؟.

- قد أفعل ذلك فيما بعد .. أما الآن فإنني أريد مقابلة الدكتور رابتون .

ابتسمت الفتاة ابتسامة غامضة وقالت :

- لاداعى لأزعاجه الآن ، وبإمكانى أن أقدم لك كافة الإرشادات اللازمة هذه هى استمارة العضوية عليك أن تدونى بها بياناتك ، ورسم العضوية ديناران فقط .

- سوف أفكر فى هذا الأمر فيما بعد ولكننى الآن أريد مقابلة الدكتور رابتون أو سكرتيره ..

- إن ذلك مستحيل .

- لماذا تقولين أنه مستحيل ؟ الا يوجد أحد منهما ؟.

- الدكتور رابتون موجود حالياً بالطابق الأول ولكنه طلب عدم الازعاج ..

فقالت ڤيكتوريا بحرارة :

- إننى قادمة للتو من انجلترا ومعى رسالة مهمة للغاية يجب أن أقوم بتسليمها إلى الدكتور رابتون شخصياً .. فلابد أن أقابله .

وجدت الفتاة أن معارضة ڤيكتوريا أمر مستحيل فقالت لها :

- حسناً .. تعالى معى .

صعدت الفتاة إلى الطابق الأول وڤيكتوريا وراءها ثم دخلت إلى غرفة الدكتور رابتون .

كان رجلاً قصير القامة أشيب الشعر يناهز الستين من عمره وعندما ذكرت له الفتاة أن زائرته قادمة من انجلترا نهض لاستقبالها بحرارة .

وقال لها وهو يبتسم :

- مرحباً بك .. هل هذه رحلتك الأولى إلى بلاد الشرق ؟.

- نعم ياسيدى .

- أرجو أن تحدثيني عن انطباعاتك عن هذه البلاد .. ولكننى أريد أولاً أن أعرف .. هل تقابلنا قبل ذلك ؟.

- لا أعتقد ذلك يا سيدى .. ولكننى صديقة لادوارد .

- وهل يعلم أنك فى بغداد ؟.

- كلا ..

- ستكون مفاجأة رائعة له عندما يحضر .

- أليس موجوداً هنا ؟.

- كلا .. لقد ذهب إلى مدينة البصرة من أجل استلام شحنة من الكتب وردت إلينا من انجلترا .

- ومتى سيعود إلى بغداد ؟.

– بعد أن ينتهى من مهمته .. يمكنك أن تتركى لى عنوانك وسوف أخبره عندما يحضر .

ولكن ڤيكتوريا تذكرت الأزمة المالية الطاحنة التى تمر بها مما دفعها لأن تقول له :

– دكتور رابتون .. هل أجد عملاً لديكم ؟.

قال الرجل بحماية :

– بالتأكيد .. فنحن نرحب بجميع المتطوعين من أجل الخير والسلام خاصة الانجليز .

– ولكننى أطلب عملاً يقابله أجر .

– آه .. ولكن هذا الأمر صعب فى الوقت الحالى لأن ميزانيتنا لاتكاد تفى بمرتبات الموظفين .

– ولكننى أمر بظروف تحتم على الحصول على عمل بصورة عاجلة إننى أجيد الاختزال والآلة الكاتبة ..

– إننى واثق من ذلك يا عزيزتى .. ولكن ليس بإمكانى أن أجد لك عملاً فى الوقت الحاضر ، ولكن إذا عثرت على عمل فأرجو أن تعملى معنا هنا .. إننا نؤدى أعمالاً عظيمة .. فنحن نحاول التقريب بيت شعوب العالم بواسطة الأدب والفن .. لقد ترجمت مسرحية شكبير حلم ليلة صيف إلى أربعين لغة حتى تتاح الفرصة لشباب أربعين دولة للإطلاع على هذا العمل الرائع وتحقيق قدر من التفاهم بين تلك الشعوب .. إن هذا المعهد يتيح الفرصة للتلاقى بين مختلف شعوب الأرض ، فعلى سبيل المثال هذه الفتاة التى

استقبلتك هنا .. إنها تدعى كاترين وهى سورية ، ويمكنك أن تتعرفى بعشرات الشباب من أنحاء العالم من خلال معهد غصن الزيتون ..إن الجميع يطالعون نفس الكتب ويتبادلون وجهات النظر حول مختلف أمور الحياة ..

لم تكن ڤيكتوريا مقتنعة بما قاله رابتون كما أنها لم تجد فى نفسها أى ميل إلى كاترين وكانت تعتقد أن كافة الفتيات اللائى يترددن على المعهد يطاردن ادوارد .. استطرد الدكتور رابتون قائلاً :

– إن ادوارد شاب ذو مواهب عظيمة ولديه قدرات كبيرة فى التفاهم مع الفتيات رغم أنهن معجبات به بشدة .. إننا حقاً سنكون سعداء بوجودك معنا .

ثم بسط لها الرجل يده إيذاناً بانتهاء المقابلة .. صافحته ثم انصرفت ومرت فى طريقها بكاترين فوجدتها تتحدث مع فتاة أخرى خيل لڤيكتوريا أنها رأتها من قبل .. وعندما مرت بهما ڤيكتوريا توقفتا عن الحديث الذى كان يجري بينهما باللغة العربية ..

شعرت ڤيكتوريا بالحزن الشديد والقلق على مصيرها فى هذا البلد الغريب .. أنها وحيدة بلا صديق ، ولكنها تناست ذلك وأخذت تفكر فى الدكتور رابتون ومعهده العجيب .. لقد قال لها ادوارد إن الأمر يثير الريبة .. فهل يعنى الدكتور أم المعهد ؟.

إن الدكتور رابتون رجل غريب الأطوار يحاول أن يحقق حلماً مستحيلاً ..

* * *

أعياها التفكير وأرهقها السير الطويل فى شوارع بغداد تحت أشعة الشمس المحرقة .. كانت تضل طريقها أحياناً ثم تعود إلى الاتجاه الصحيح مما سبب لها المزيد من الإرهاق .. وأخيراً وصلت إلى فندق ماتيو وهى فى أسوأ حال شاهدها ماركوس بمجرد دخولها فدعاها إلى الشراب وقدمها إلى رجل كان يجلس معه حيث قال :

- مس جونز .. هذا هو مستر دايكن .

ثم دعا أيضاً مسز كارديو ترنيش للانضمام إليهم .. فقال دايكن لفيكتوريا :

- من الواضح أنك مرهقة للغاية .. هل بذلت مجهوداً كبيراً اليوم ؟.

- قمت بجولة طويلة فى الأسواق وشاهدت أشياء رائعة للغاية مما يجتذب السياح .. وفى هذه اللحظة انضم إليهم زائر جديد قدمه ماركوس إلى فيكتوريا باسم الكابتن كروسبى الذى سألها :

- هل جئت إلى هنا منذ مدة طويلة ؟.

- كلا .. جئت بالأمس فقط .

- لقد ظننت ذلك فلم أرك هنا من قبل .

قال ماركوس وهو يبتسم :

- إنها حسناء فاتنة وإننى أفكر بجدية فى إقامة مأدبة عشاء تكريماً لها .

قالت مسز ترنيش لكروسبى :

- كنت أعتقد أنك مازلت فى البصرة .

- عدت بالأمس فقط .

نظر كروسبى إلى إحدى شرفات الفندق وقال لماركوس :

- من هذا الرجل الأنيق الذى يجلس فى الشرفة هناك ويضع على رأسه قبعة أهل المكسيك ؟

- إنه السير روبرت كرفتون لى .. إنه رحالة شهير وهو رجل ظريف للغاية يقضى معظم أوقاته فى عبور الصحارى على ظهر الإبل .

- لقد سمعت عنه كثيراً وطالعت أحد كتبه .

فقالت ڤيكتوريا :

- لقد وصلت معه على نفس الطائرة .

ثم أضافت بقلة اكتراث :

- ولكن يبدو أن شيئاً فيه قد تغير .

وعلى الفور اتجهت أنظار كل من دايكن وكروسبى إليها فشعرت بالزهو .

استأذنت ثم صعدت إلى غرفتها لتستلقى فى فراشها .

كانت تشعر بالقلق الشديد بعد أن استحكمت أزمتها وأصبح الأمر خطيراً للغاية .

إن كل ماتملكه الآن لا يتجاوز ثلاثة جنيهات لا تكفى لدفع حساب الفندق فلابد أنها مدينة بأكثر من هذا المبلغ بكثير .

لقد كان ماركوس تيو ، كريماً معها حتى الآن ولكنه سوف يقدم إليها الفاتورة خلال يوم أو أثنين وعلى الأكثر فى نهاية الأسبوع .. إذن لابد لها

من البحث عن فندق رخيص .

لايوجد أمامها الآن سوى ادوارد .. إنه أملها الوحيد للخروج من هذه الأزمة التى وضعت نفسها فيها .. ولكن متى يعود ؟.

إنها لا تعرف عنه أي شئ .. حتى لقبه لا تعرفه .

وأدركت الآن أبعاد الغلطة الكبيرة التى ارتكبتها بالقدوم إلي بغداد والانسياق وراء أوهام كاذبة .. إنها الأن بلا مال ولا عمل ولا صديق تشكو إليه وتسأله النصيحة .

إن ماركوس يحاول التقرب إليها ولكنه يفعل كل ذلك حتى يجتذب المزيد من العمال إلى الفندق ومسز ترينش سيدة وقورة ولكنها تشك فى كل الناس ولا يمكنها اللجوء إليها، أما الدكتور راتبون فهو يعيش فى عالم آخر .

وأخيراً غلبها النعاس فنامت وهى لا تعلم ما يخبئه لها القدر .

* * *

بعد انصراف ماركوس ومسز ترينش ، أخذ دايكن وكروسبى يتبادلان الحديث .. قال كروسبى هامساً :

- ما رأيك فى هذه الفتاة ؟.

- من الواضح أن بونسفوت جونز عالم الآثار هو عمها ..

- ولكن لماذا جاءت على نفس طائرة كرفتون لى ؟.

- لابد أن نتحرى عنها كل شئ .. سأذهب الآن لمقابلة كرفتون لى .

* * *

قبل أن يطرق دايكن باب غرفة السير روبرت ، وجده يفتح أمامه فنهض الرجل لاستقباله وقال له :

– ترى هل سيأتى ياادايكن

– أعتقد ذلك .. هل قابلته من قبل ؟.

– كلا .. ولكن يسعدنى أن ألتقى بهذا الشاب الشجاع الذكى .. ترى هل اتخذت كافة الاجراءات الأمنية ؟.

– نعم .. إن كروسبى هناك بالشرفة ، وأنا سأكون بالدهليز لمراقبة السلم ، وعندما يدخل كارمايكل إلى غرفتك فعليك أن تطرق الباب ثلاث مرات حتى أنضم إليكما .

★ ★ ★

الفصل السابع

رغم أن ڤيكتوريا قررت النوم ملء جفنيها حتى الصباح إلا أنها استيقظت بعد ساعة واحدة لأنها نامت عدة ساعات بعد الظهر .. حاولت النوم طويلاً بدون جدوى فتوقفت عن المحاولة وأضاءت النور وأخذت تطالع فى قصة كانت معها بالطائرة ..

بعد أن انتهت من الرواية أخذت تكتب بعض الرسائل لطلب عمل حتى شعرت بالرغبة فى النوم ولكنها ما كادت تأوى إلى فراشها حتى وجدت باب غرفتها يفتح فجأة ويدخل منه رجل ثم يغلق الباب خلفه بالمفتاح وهو يقول لها بصوت مرتجف :

– أرجو أن تخفينى ياسيدتى .. بسرعة أرجوك .

كانت ڤيكتوريا ذكية للغاية وسريعة البديهة .. وجدت الرجل يلهث وهو فى حالة إعياء كما يضم حقيبته فوق صدره .. ولكن لا يوجد بالغرفة مكان يصلح لإخفائه ، وعلى الفور فكرت فى فراشها .

إنه المكان الوحيد الذى يصلح لإخفاء الرجل .

أشارت إلى الفراش وقالت له :

- هيا .. أسرع .

وعلى الفور رقد الرجل فى الفراش فرفعت الأغطية ثم وضعتها فوقه حتى غطته تماماً وجلست على حافة الفراش وسمعت طرقات قوية على الباب فهتفت قائلة :

- من الطارق ؟.

- الشرطة .. افتحى الباب حالاً .

اتجهت نحو الباب بخطى ثابتة ، ولكنها قبل أن تفتح لمحت كوفية هذا الزائر المزعج فالتقطتها على الفور وأخفتها فى أحد الأدارج ثم فتحت الباب .

وجدت أمامها شابا أسود الشعر وخلفه شرطى .. سألت الرجل بصوت مرتجف :

- ماذا حدث حتى تزعجنى هكذا ؟.

- إننى آسف ياسيدتى لازعاجك فى مثل هذه الساعة .. إننا نطارد مجرما هاربا لجأ إلى الفندق وسوف نقوم بتفتيش جميع الغرف .. إنه مجرم خطير للغاية .

- إن هذا شئ مخيف .

ثم فتحت الباب للرجل ودعته لتفتيش الغرفة ، فدخل هو وزميله ولم تستغرق العملية أكثر من دقيقة قال الرجل بعدها :

- من الواضح أنه ليس هنا .

- ولكن هل أنت واثق من ذلك ؟ إننى خائفة .. لقد أغلقت الباب بالمفتاح قبل أن أنام ولكننى خائفة رغم ذلك .

- لا تخافى ياآنسة .. سوف نقبض عليه حتماً .

وبعد انصرافهما أغلقت الباب بالمفتاح وسمعتهما يطرقان باب الغرفة المقابلة وهى غرفة مسز ترينش .

وبعد أن ابتعدا تماماً بدأت تفكر فى هذا الموقف السئ الذى وضعت نفسها فيه .. كيف تساعد هذا الرجل الغريب دون أن تعرفه ؟ هل تساعده لأنه يتكلم الانجليزية ويبدو من أبناء وطنها ؟ ألا يمكن أن يكون مجرماً خطيراً كما قال الشرطى ؟.

وقفت أمام الفراش وقالت بحزم :

- انهض .

ولكنها دهشت عندما وجدت الرجل ظل ساكناً فى موضعة فقالت هامسة :

- هيا .. انهض لقد ذهبا .

ولكنها لم ترأية حركة أو تسمع جواباً فرفعت الأغطية بسرعة ورأت الرجل جامداً فى مكانه مغمض العينين ووجهه شاحب كما لاحظت وجود بقعة دم كبيرة على الفراش خشيت أن يكون قد مات فوق فراشها واستولى عليها الفزع وقالت :

- كلا .. كلا .. ماذا أفعل ..ا نها ورطة فظيعة .

فتح الرجل عينيه ثم نظر إليها وهمس بكلمتين ولكنها لم تسمعه فقالت :

- إذا تقول ؟

فقال بصوت شديد الخفوت :

- البصرة .. لوسيفر ..

ولم تسمع منه أكثر من ذلك ثم تصلبت عضلاته وجمدت عيناه وسكن جسده تماماً .

وأدركت ڤيكتوريا إن الرجل مات فى هذه اللحظة وتسمرت فى مكانها ..

كانت تشعر بالرثاء من أجله ، والحيرة فى هذا الموقف العصيب .

ماذا تفعل ؟.

ترى هل تستغيث ؟ ولكن بمن ؟ ،ماذا تقول لرجال اللشرطة .

وفى هذه اللحظة سمعت صوتاً خلفها ثم وجدت مفتاح الغرفة يسقط على الأرض ، وبعد لحظات وجدت مستر دايكن يدخل إلى غرفتها .

قال الرجل بصوت خافت :

- يالك من فتاة رائعة تجيدين التصرف .. كيف حال الرجل الآن ؟.

- أعتقد أنه .. مات .

التمعت عينا الرجل ببريق مخيف لكنه تمالك نفسه بسرعة ولمحت ڤيكتوريا على وجهه دلائل النشاط والحزم والذكاء .. كانت تلك صورة أخرى غير صورة ذلك الرجل الخامل المتراخى الذى انطبعت فى ذهنها عن دايكن .

انحنى فوق القتيل وكشف عن صدره ثم غمغم قائلاً :

- لقد طعنوه فوق القلب تماماً .. كان بطلاً .

- ولكن رَجلَى الشرطة قالا إنه مجرم خطير .. هل حقاً مجرما ؟.

- كلا بالطبع .. كان بطلاً بمعني الكلمة .

- وهل كان هذان الرجلان من رجال الشرطة حقاً ؟.

- لا أعلن .. ولكن هل قال شيئاً قبل أن يموت ؟.

- نعم ..

فقال الرجل بلهفة :

- ماذا قال ؟.

- قال كلمتين فقط : (لوسيفر) و (البصرة) وقد سمعته ينطق باسم لم أتبينه وربما كان اسم فرنسى .

- أرجو أن تحاولى التذكر .

- أعتقد أنه (لافارج) .

- لا فارج ؟!.

- ماذا يعنى كل هذا ؟ وماذا أفعل فى هذه الورطة ؟.

- لا داعى للقلق .. فسوف أبعدك عن هذا الموضوع تماماً كما سأذكر لك معنى كل هذا فيما بعد عندما نجلس سوياً ، أما الآن فلابد أن أذهب إلى ماركوس تيو ، وأعرف رأيه قبل أن أتخذ أى إجراء .. إنه رجل عاقل رغم ثرثرته المتواصلة .

غادر دايكن الغرفة على الفور فتهالكت ڤيكتوريا فى أحد المقاعد وهى

تشعر بالخوف والضياع .. كأنها فىَ كابوس مخيف .

عاد دايكن بعد قليل بصحبة ماركوس الذى انقلبت سحنته واختفت ابتسامته الدائمة .. قال دايكن :

– لقد اقتحم هذا الرجل غرفة الفتاة وبدافع الشفقة أخفته فى فراشها ولكنه مات .. فلابد أن نتعاون سوياً ياماركوس .. أن الفتاة مخطئة دون شك ولكن لا يمكن أن يلومها أحد على أنها تصرفت بهذه الطريقة .

قال ماركوس :

– وماذا تريد ؟ هل تريد أن أوضح الأمر لرجال الشرطة .. إننى لا أحب التعامل معهم .

– كلا .. إننا نريد نقل الجثة من هنا دون أن نثير انتباه أحد .

– وأنا أيضاً أريد ذلك .. فليس من مصلحتى أن يقال أن جثة وجدت فى فندقى .. ولكن ماذا نفعل ؟.

– إن هذا أمر سهل للغاية .. ترى هل يوجد فى أسرتك طبيب ؟.

– نعم .. بول زوج أختى .. ولكننى لا أريد أن أزج به فى هذه المتاعب .

– إن الأمر بسيط للغاية .. سوف ننقل هذه الجثة أولاً إلى غرفتى حتى نبعد الفتاة عن الموضوع تماماً ، ثم يأتى بعد قليل رجل ثمل يترنح ويطلب مقابلتى ثم يصعد إلى غرفتى ويغمى عليه بعد ذلك ، وسوف أطلب منك استدعاء طبيب ، فيحضر زوج أختك ويطلب سيارة الإسعاف ثم يقوم بمرافقة صديقى السكير فى السيارة إلى المستشفى .. وفى الطريق سيموت هذا الصديق قبل الوصول إلى المستشفى لأنه كان مصاباً بطعنة خنجر فى قلبه

– فيترك زوج أختى الجثة فى المستشفى ، وفى صباح الغد يغادر صديقك المزعوم الفندق بهدوء أليس كذلك ؟.

– نعم .. وهكذا نتخلص من متاعب وجود الجثة فى الفندق ولكننى أرجو منك أن تشغل عمال الفندق حتى أتمكن من نقل الجثة ..

وبعد قليل قام دايكن بنقل الجثة إلى فراشه بمساعدة ڤيكتوريا ثم قال لها :

– أرجو أن تقص كل الأغطية الملوثة بالدماء وسوف ألحق بك بعد قليل .

– ولماذا أفعل ذلك ؟.

لكن الرجل لم ينطق .

* * *

جلست ڤيكتوريا فى مقعدها وأصاخت السمع .. فسمعت صرخات رجل ثمل فى الردهة الخارجية ، ثم ارتفعت بعض الأصوات تلاها رنين الأجراس وأعقب ذلك صوت خطوات كثيرة فى الردهة الخارجية ثم أعقب ذلك سكون تام لم يقطعه إلا نغمات موسيقى عربية تأتى من غرفة بعيدة ..

وأخيراً فتح باب غرفتها بهدوء وتسلل منه شبح فأضاءت المصباح ووجدت أمامها دايكن الذى راح يحدق فيها بإمعان .. فقالت :

– أريد أن أعرف معنى كل هذا .

– هذا حقك .. ولكننى أريد أولاً أن أعرف من أنت ؟ ولماذا جئت إلى بغداد ؟.

ولأول مرة لا تحاول ڤيكتوريا الكذب ، ويبدو أن دقة موقفها بالإضافة إلى

الأحداث الدامية التى وقعت أمامها جعلتها مرهفة المشاعر إلى حد كبير .. أخذت تقص على الرجل كيف التقت بادوارد فى الحديقة وقرارها المتسرع بالقدوم إلى بغداد ومصادفة مسز كليب وأخيراً الأزمة المالية التى تواجهها حالياً .

قال دايكن :

– لقد فهمت كل شئ .. كنت أتمنى أن أبعدك عن هذه الصراعات الرهيبة ولكنك للأسف تورطت فيها رغماً عنك .. فلماذا لا تعملين لحسابنا ؟.

قالت ڤيكتوريا بلهفة :

– ماذا تقول ؟ هل تعرض على عملاً ؟

– إنه عمل بالفعل ولكنه يختلف عن كل ماعرفت من أعمال .. إنه عمل خطير للغاية .

– ولكنه عمل شريف .. أليس كذلك ؟ فلا يمكننى أن أزاول أعمالاً غير شريفة .. فربما لجأت إلى الكذب فى بعض الأحيان ولكننى لا أخالف القانون أبداً .

– إن ميلك إلى الكذب هو الذى جعلنى أفكر فيك .. وهو عمل شريف بالفعل فلا داعى للقلق .

سوف أوضح لك الأمر .. إن العالم يقف على حافة الحرب بسبب ذلك الصراع الرهيب بين القوى العظمى .. فالعالم منقسم إلى معسكرين متضادين كل منهما يقف للآخر بالمرصاد ، ولن يتحقق السلام فى العالم إلا إذا اعترفت القوى الكبرى بحق غيرها فى البقاء واعتناق المذاهب التى

تلائمها ..

ولكن للأسف الشديد فإن هذه القوى لا تقبل بذلك أبداً والصراع بينها رهيب ، وقد ازدادت حدة الخلافات بينها إلى حد ينذر بالخطر ، وتساءل البعض ترى هل تقوم قوى أخرى بإشعال هذا الخلاف حتى لا يحدث تقارب بين هذه القوى المتعارضة أبداً ؟.

إن ما يحدث فى الواقع يدعو إلى العجب .. فكلما حدث هناك تقارب بين هذه القوى العظمى وقع حادث يفسد كل شئ وجعل الأمور تنقلب رأساً على عقب وبدلاً من التفاهم والتقارب تتعمق الخلافات وتزداد حدة الأزمات .

وقد تأكدنا أن هناك قوى خفية تعمل على إحداث تلك النزاعات وتعميق الخلافات الدولية .

– ومن الذي يدبرها ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟.

– يتم تدبير كل ذلك بواسطة المال وإن كنا لم نتوصل حتى الآن لمصادر التمويل لهذه القوى الشريرة .. إن الاضرابات العمالية تحدث فى كل مكان حتى تهتز الحكومات وتسقط ، بينما يقوم العمال بذلك بحسن نية ولا يعلمون أنهم ألعوبة بين أيدى تلك القوى الشيطانية .. فمن أين تحصل هذه الحركات العمالية على التمويل اللازم للإضراب ؟.

وهناك كميات ضخمة من الأموال تختفى من الأسواق .. فأين تذهب وكذلك تختفى كميات هائلة من الذهب والمعادن الثمينة .. فمن الذى يشتريها ؟ ولماذا ؟.

– إن هذا شئ مذهل !!.

– نعم : ولكن لابد أن تفهمى يا ڤيكتوريا إن الأمر خطير للغاية ، وإن هذه القوى الشيطانية هى التى تعمل على بذر بذور الصراع والفتن دائماً وتعميق الخلافات بين القوى العظمى ، وأن لها وكلاء فى معظم دول العالم يشغلون أخطر المراكز ويتجسسون على حكوماتهم ويبيعون مصالح أوطانهم من أجل هذه القوى الخفية .

– وماذا تعرفون عن هؤلاء الوكلاء ؟.

– لا نعرف إلا أنهم بلا جنسية واضحة .. إنهم منحازون لصوت الشيطان فقط ولا يريدون أن يحل السلام فى العالم ، ويريدون أن يفرضوا سلطانهم عنوة وأن يخضع لهم الجميع .

هناك مراكز لتلك الجماعة فى الارجنتين وكندا، وربما كان لهم مركز فى الولايات المتحدة الأمريكية أو أكثر من مركز، وخلال العامين الأخيرين اختفى ثمانية وعشرون عالماً من أعظم العلماء فى العالم وفشلت جميع الجهود فى معرفة مصيرهم ، وحدث ذلك لكثير من الطيارين والمهندسين وأصحاب التخصصات النادرة .

ترى أين ذهبوا ؟.

توجد مناطق نائية فى هذا العالم وبعيدة عن العمران .. فربما حدثت أمورلا يعلمها أحد فى هذه المناطق .. ومن ضمن هذه المناطق منطقة بالقرب من جبال الهيمالايا وقد أرسلوا إليها المعدات والآلات والمواد والموظفين أيضاً .

لم يشك أحد فى أمر هذه المنطقة سوى رجل واحد .. رجل ولد فى بلاد الشرق وأجاد الحديث بمختلف اللغات الشرقية وكان له أصدقاء فى كل

مكان .

عثر هذا الرجل الذكى على الأثر وظل يتتبعه بإصرار حتى عثر على ما كان يبتغيه وعاد إلينا وتحدث عما رآه ولكن أحداً لم يصدقه لغرابة ما ذكره فاضطر للاعتراف بأنه ربما كان محموماً .

لم يصدق هذا الرجل سوى شخصين أنا أحدهما لأننى رأيت أشياء أمام عينى كنت أظنها من قبيل المستحيلات .

أما الشخص الآخر فهو السير روبرت كرفتون لى ، الرحالة الشهير الذى قام بزيارة هذه المنطقة ووجد أن الأمر مذهل حقاً .

ولذلك فقد تشجع هذا الرجل الباسل واسمه كارمايكل ، وقرر الذهاب إلى هذه المنطقة وإحضار أدلة مادية ملموسة .

كنا نعلم أنها رحلة رهيبة حافلة بالأخطار الجسيمة ولكن الرجل كان جسوراً لايهاب شيئاً ، خلق لمواجهة الصعاب .. حدث ذلك منذ تسعة أشهر وخلال هذه المدة لم نعرف عنه شيئاً ولا عن مهمته الشاقة .

ومنذ بضعة أسابيع علمنا أنه استطاع الحصول على أدلة تؤيد صدق روايته وإنه قادم إلينا ومعه الأدلة والمعلومات التى حصل عليها .

ولكن الأعداء اكتشفوا أمره وقرروا ألا يسمحوا له بالعودة أبداً مهما كانت الظروف .

فرضوا رقابتهم على كل مداخل الحدود كما قتلوا الكثيرمن الأبرياء لمجرد الاشتباه فيهم .. كانت الشبهة كافية لقتل أى شخص يظن أنه كارمايكل .

ولكن البطل كارمايكل استطاع الإفلات منهم طوال هذه المدة وحتى مساء اليوم .

- إذن فهو الذى قتل هنا الليلة ؟.

- نعم .. كان هو للأسف الشديد .

- وهل حصلوا على الأدلة التى جمعها ؟.

قال الرجل بلهجة تدل على الحزن :

- كلا .. لم يحصلوا على شئ ولكنه لم يدلنا على مكانها ولاشك فى أن مفتاح السر هو هذه الكلمات (لوسيفر - البصرة - لافارج) ..

علمنا أن كارمايكل بالبصرة فى طريقه إلى بغداد حتى يقدم تقريره إلى القنصلية البريطانية هناك ولكنه تعرض لمحاولة اغتيال عجيبة فى مبنى القنصلية ، وأعتقد إنه ترك هذه الأدلة فى مكان ما بالبصرة وهذه مهمتك .

أريدك أن تذهبى إلى البصرة للبحث عن الأدلة .

- أنا ؟!.

- نعم . فرغم أنك لا تعرفين ما الذى تبحثين عنه فسوف أرسلك إلى البصرة فربما أوحت إليك كلمات كارمايكل بشئ .. إنك آخر من سمعته بالإضافة إلى ذلك فإننى أتوسم فيك الشجاعة والذكاء .

فقالت بحماسة :

- إننى موافقة على الذهاب إلى البصرة .

- إن صديقك هناك .. حسناً .. إن هذا يبعد الشكوك عنك ولكن أرجو أن

تنتبهى جيداً لكل شئ فالمهمة شديدة الخطورة .. عليك أن تبحثى عن معنى كلمتى (لوسيفر) ، (لافارج) ، وإن كنت أعتقد أن الأخيرة هى اسم شخص ما ..

ثم قدم إليها مبلغاً كبيراً من النقود وقال لها :

– سوف تحتاجين إلى مبالغ كبيرة ، أما عن التعليمات فسوف أترك لك حرية العمل فلديك قدرات طيبة وسرعة بديهة ، ولكن عليك أن تخبرى مسز ترنيش أنك ذاهبة إلى البصرة للحاق ببعثة عمك الدكتور بونسفوت جونز ، وإنك تبحثين عن فندق مناسب هناك ، وسوف تنصحك بالذهاب إلى القنصلية حيث يقوم القنصل دائماً باستضافة الانجليز فى مبنى القنصلية وربما قابلت أدوارد هناك أما إذا وقعت فى فخ وتعرضت لضغط فعليك الاعتراف بكل شئ .

– ورغم كل ذلك فلن انطق بكلمة مهما عذبونى .

– لقد أصبح التعذيب وسيلة قديمة ، الآن توجد وسائل حديثة كأن يتم حقنك بحقنة تجعلك تبوحين بكل أسرارك ، ومن حسن الحظ إنك لا تعرفين أية أسرار ، أما بخصوص ادوارد فسوف أترك لك الحرية كى تخبريه بطبيعة المهمة أم لا .. أن تقدير ذلك يرجع لك ، ولكنه سوف يتعرض لنفس الأخطار التى تتعرضين لها إذا صارحته بالحقيقة ، إننى أعلم أنه كان طياراً فى الحرب ولا تنقصه الشجاعة والجراءة . أما عن معهد غصن الزيتون ، الذى يثير شكوكه فإنه يثير شكوكنا أيضاً وسوف نبحث هذا الأمر .

أخيراً أقول لك لا داعى للأكاذيب الكبيرة حتى لا تقعى فى ورطة لا

يمكنك الخروج منها وأنصحك بالحذر الشديد وإرهاف السمع جيداً خاصة إذا سمعت عن هيلين شيل .

– ومن هى هيلين شيل ؟.

– إننا لا نعرف عنها إلا أقل القليل ونريد أن نعرف كل شئ .

★ ★ ★

الفصل الثامن

ما كادت ڤيكتوريا تقول لمسز كارديو ترنيش أنها تريد فندقا مناسبا فى البصرة حتى قالت :

– ولماذا تذهبين إلى فندق ؟ يمكنك الاقامة فى مبنى القنصلية فإن مسز كلايتون ، ترحب بمواطنيها ترحيباً حاراً وتستضيفهم لديها ، كما أنها هى وزوجها من أصدقاء عمك الدكتور " بونسفوت جونز".. سوف أتصل بها حالاً حتى تنتظرك .

شعرت ڤيكتوريا بالحرج الشديد ، فماذا تفعل إذا وجدت عمها المزعوم هناك ؟ ولكن طبيعتها الجريئة جعلتها تنسى القلق وتستهين بالخطر ..

وصل القطار إلى محطة البصرة حيث وجدت سيارة القنصلية فى انتظارها لتوصيلها إلى دار القنصلية وهى عبارة عن ڤيللا كبيرة تحيط بها حديقة متسعة .. وهنا وجدت مسز كلايتون تستقبلها بابتسامة رائعة وتقول

– مرحباً بك أيتها العزيزة .. لقد جئت فى أفضل الأوقات فالبصرة تكون رائعة فى هذا الفصل ولذلك يحضر الكثيرون إلى هنا للإقامة لدرجة أننا نجد صعوبة أحياناً فى توفير الأماكن المناسبة لهم ، ولكن من حسن

حظك أنه لا يوجد لدينا الآن إلا ضيف واحد وهو شاب ظريف يعمل مع الدكتور راتبون ، وكنت أتمنى أن تقابلي ريتشارد بيكر .. فهو شاب مثقف ومهذب ولكنه رحل أمس في مهمة علمية .

تساءلت ڤيكتوريا .. من هو بيكر هذا ؟ ولكنه لا يهمها الآن .. إن كل اهتمامها منحصر في ادوارد وفي مهمتها الخطيرة .. استطردت مسز كلايتون قائلة :

- سوف أرافقك إلى غرفتك لتستبدلي ثيابك ثم تتناولين الطعام .

ذهبت إلى غرفتها حيث اغتسلت وصففت شعرها بطريقة تبرز جمالها وأخذت تتهيأ للقاء الشخص الوحيد الذي مال إليها قلبها ، كانت تريد الانفراد به قليلاً حتى لا ينكشف أمرها ويعرف الجميع انها تدعى قرابة الدكتور بونسفوت جونز ..

أخذت تتطلع من شرفة غرفتها إلى الحديقة ، وبعد قليل شاهدت شاباً طويل القامة يدخل إلى مبنى السفارة فعرفته على الفور وأسرعت إليه وهو يصعد السلم وصاحت :

- ادوارد ..

رفع إليها وجهه الوسيم ونظر إليها وهو لا يصدق عينيه ثم قال :

- أنت .. مستحيل .. إنني لا أكاد أصدق عينيّ .

- نعم .. ولكن أرجوك انتظر هنا قليلاً ..

- يبدو أنني أحلم .

- كلا .. أنك لست في حلم أيها العزيز .

– كيف جئت إلى هنا ؟ ولماذا ؟ يا إلهى لقد ظننت أننا لن نتقابل بعد ذلك أبداً .

– وأنا أيضاً كنت أظن ذلك .

– ولكن كيف جئت إلى هنا ؟.

– بواسطة الطائرة .

– نعم .. ولكن ما الذى جاء بك إلى البصرة ؟.

– القطار ..

– أرجوك أن تخبرينى بالحقيقة .. إننى متلهف على معرفة كل شئ عنك .

– جئت إلى هنا مرافقة لسيدة تدعى مسز كليب كسر ذراعها وكانت بحاجة إلى من يرافقها إلى بغداد ، وكان ذلك فى اليوم التالى مباشرة لرحيلك ، ولما وجدت أننى لن أجد عملاً فى لندن قررت الرحيل من أجل التغير .

– أنك فتاة رائعة حقاً .. وهل مسز كليب مازالت هنا ؟.

– لقد رحلت إلى كركوك للنزول فى ضيافة ابنتها ، وكان اتفاقى معها أن أرافقها حتى بغداد فقط .

– وماذا تفعلين هنا بعد انتهاء مهمتك ؟.

– استمتع بالجو ، وقد لجأت إلى الحيلة حتى أتمكن من البقاء هنا ، فأرجو ألا تذكر لأحد أننى مجرد كاتبة اختزال بسيطة .

– يبدو أنك أردت اللحاق بى قبل أن أتحدث إلى أحد .. حسناً .. يمكنك

أن تزعمى ماتشائين وسوف أؤيدك .

- لقد ادعيت أننى ابنة أخ الدكتور بويسفوت جونز وإننى قادمة للحاق ببعثته .

- وماذا يحدث إذا التقيت به هنا ؟!.

- لا أعرف .. ولكن علماء الآثار قلما يبرحون مناطق الحفريات .

- هل للدكتور بونسفوت ابنة أخ فعلاً ؟.

- لا أعلم .

- هذا أفضل .. فإنك لم تنتحلى شخصية فتاة أخرى .

- عند الضرورة يمكننى أن ادعى أنني ابنة عمه .

- إنك شديدة الدهاء يا ڤيكتوريا وتحسبين لكل شئ حساباً .. ماذا عن العمل ؟

- إننى بصدد الحصول على عمل .. هل تعلم أننى ذهبت إلى معهد غصن الزيتون وقابلت الدكتور رابتون وعرض على العمل ولكن بدون أجر ؟!.

- ياله من رجل غبى .. إنه يريد أن يسخر كل الناس لخدمته بدون أجر..

- ما رأيك فى هذا الرجل بصراحة ؟.

- لا أدرى على وجه التحديد .. إنه يعتنق فكرة رائعة ويعمل من أجلها بإخلاص ولا يبحث عن الربح ولكننى أشعر بالقلق والريبة من ناحيته .

- هيا بنا ندخل الآن وسوف نتحدث فى هذا الأمر بعد ذلك .

وما كادت مسز كلاتيون تراهما سوياً حتى قالت :

– إذن فأنتما صديقان .. هذا شئ رائع .

قال مستر كلاتيون القنصل لادوارد :

– هل انتهيت من أعمالك ؟.

– كلا .. مازال أمامى إجراءات طويلة للغاية وشديدة التعقيد قبل الإفراج عن صناديق الكتب .. إن الأمور تسير ببطء شديد .

– ولكنك سوف تنجح فى مهمتك فإنك أفضل من يضطلع بها .

– إنهم يرتابون فى وجود المتفجرات فى أى شئ .

قالت مسز كلايتون ضاحكة :

– أرجو ألا يجدو القنابل فى صناديق الدكتور رابتون .

– إن هذا مستحيل يا عزيزتى ، فالدكتور رابتون عالم مرموق يحظى بالاحترام فى كل أوربا .

فقالت زوجته متجاهلة دفاعه عن الرجل :

– إنه فى هذه الحالة يستطيع تهريب الأسلحة بطريقة أسهل كثيراً لأن أحداً لن يشك فيه .

* * *

بعد أن تناولوا الطعام خرجت ڤيكتوريا مع ادوارد للنزهة على شط العرب ثم واصلا إلى السوق وفى الطريق قالت ڤيكتوريا :

– قبل أن أنسي .. ما هو لقبك .. لقد حيرتنى كثيراً وشعرت بالحرج

عندما سألت عنك فى المعهد .

لقبى .. جيرنج .. ادوارد جيرنج .. ولكن هل قابلت فتاة ذات شعر أسود هناك ؟.

– نعم ..

– اسمها كاترين وهى ظريفة للغاية ، ولو أنك سألتها عن ادوارد فقط لعرفتنى على الفور ، أعتقد أنك ستحبينها كثيراً .

– ولكننى أشعر بعكس ذلك تماماً ..

– ولماذا ؟ سوف أعمل على إلحاقك بالمعهد بأى طريقة .

– ولكن كيف ؟.

– لا أعلم الآن ولكننى سأفكر .. يمكننى أن أقول لهم إنك تجيدين الاختزال والآلة الكاتبة .

– ولكن هذه ليست الحقيقة وسوف يكتشفون كل شئ بسرعة ..

– ربما وجدت لك عملاً فى المكتبة ..إننى لا أريدك أن تقضى أوقاتك فى البحث عن عمل ، ولكن لا تظنى أن العمل فى المكتبة عمل سهل .

– وهو أيضاً يثير الريبة .. أليس كذلك ؟.

– فى الحقيقة .. إن هذا رأيى .. ولكن ..

– لا داعى للقلق ياعزيزتى .. إن هذا الشعور انتابنى من اللحظة الأولى التى دخلت فيها إلى هذا المعهد .

فقال ادوارد بحدة :

– كلا يا ڤيكتوريا .. يبدو أنك تعلمين شيئاً ..

– لقد سمعت كلاماً من أحد الأصدقاء .

– ومن هو ..

– صديق .. ولكن هل تعرف شخصاً يتردد على المعهد يدعى (لافارج) ؟.

– لا فارج ؟.. كلا .. ومن هو لافارج هذا ؟..

– وهل تعرف هيلين شيل ؟.

وهنا انتفض ادوارد بحدة وأمسك بساعدها وهتف قائلاً :

– أنت ماذا تعرفين عن هيلين شيل ؟.

– دع يدى ياادوارد إنك تؤلمنى .. لا أعرف عنها شيئاً بعد .. ولكننى أريد أن أعرف .

– من الذى حدثك عنها ؟ هل هى مسز كليب ؟.

– لا أذكر ..

– ولماذا تعتقدين أنها على علاقة بمعهد غصن الزيتون ؟.

– لا أعلم .. إن الأمور شديدة الغموض والتعقيد .. ولكن هل هى على علاقة بالمعهد حقاً ؟.

– للأسف لا أعلم .. لأن الأمور معقدة حقاً .. سوف أذهب إلى الجمارك الآن وعندما أعود سوف نتحدث فى الكثير من الأمور .. أريد أن أعرف منك أشياء هامة .

- وأن أيضاً أريد التحدث إليك فى أشياء كثيرة .

وفى المساء سارا سوياً تحت ضوء القمر فحدثته ڤيكتوريا عن قصتها التى بدأت منذ دخل عليها هذا الرجل المطارد غرفتها ومات على فراشها وبعد أن انتهت سألها :

- ڤيكتوريا هل أنت بخير ؟ ترى هل أثرت الشمس الحارقة على رأسك ؟.

وجهت إليه نظرة تحمل كل معانى العتاب ولم تعقب فقال :

- أرجو المعذرة ياعزيزتى .. إن كل ماذكرت هى أشياء أغرب من الخيال كيف أصدق أن هناك منظمة عالمية مثل هذه ؟ وأن هناك أنشطة سرية تجرى فى هذه المنطقة قرب التبت ؟ إن هذا ما هو إلا قصة خيالية من اختراع خيالك الخصب ، وقد ذكرت هيلين شيل حتى تؤيدى قصتك .

- ولكنك سمعت عنها من قبل ؟

- ربما ذكره شخص ما أمامى .

- أين ؟ فى المعهد ؟.

- ربما .. أن الأمر شديد الغرابة حقاً ..إننى معجب بذكاءك ياڤيكتوريا ولكننى لست مثلك ولا أستطيع التعبير عما أشعر به .

- إننى أعرف جيداً هذا الشعور ياادوارد .. لقد شعرت بالغموض والحيرة عندما رأيت السير روبرت كرفتون لى ، جالساً فى شرفة الفندق كان هناك شئ غير طبيعى فيه .

ولكننى لا أعرف ما هو ولا يمكننى التعبير عنه .

- لقد طلب منه الدكتور رابتون أن يلقى محاضرة فى المعهد ولكنه اعتذر لسفره إلى القاهرة أو إلى دمشق بالأمس .

- حسناً .. فلنعُدْ إلى هيلين شيل .

- كل ما فى الأمر أننى سمعت إحدى الفتيات تتحدث عنها .

- هل هى كاترين ؟.

- أعتقد ذلك .. كانت تتحدث مع فتاة أخرى فى المعهد .. كانت تقول (سوف يتغير كل شئ بعد وصول هيلين شيل .. فهى وحدها التى تصدر لنا الأوامر) .

- هل شعرت بالدهشة والفضول عند سماع هذا الكلام ؟.

- كلا .. لقد كنت أظنها رئيسة جديدة للمكتبة مثلاً .. ڤيكتوريا .. هل هذه الرواية التى ذكرتها من نسج خيالك ؟.

لم تجب ڤيكتوريا ولكنها وجهت إليه نظرة صاعقة فاضطر للاعتذار وقال :

- أرجو المعذرة ولكنك كذبت كثيراً .. قصة الأسقف لانجو وعمك الدكتور بونسفوت جونز وغيرها من الأكاذيب .

- كل هذه الأكاذيب صبيانية أما ماسردته عليك اليوم فهى قصة حقيقية وفى منتهى الخطورة ..

- وهل كان دايكن مقتنعاً بصحة هذه القصة ؟.

- تمام الاقتناع .. ولكن كيف علمت يا ادوارد .

وهنا سمعا صوت مسز كلايتون ، تدعوهما للدخول لتناول القهوة ، فدخلا إلى مبنى القنصلية .

وفى صباح اليوم التالى وبينما كانت ڤيكتوريا تتناول طعام الافطار على صوت جهاز الراديو ، سمعت نبأ أذهلها .. كان المذيع يقول :

- وجدت جثة السير روبرت كرفتون لى طافية فى نهر النيل .. وكان السير روبرت قد وصل إلى القاهرة ونزل بأحد الفنادق الكبرى ثم غادر الفندق فى المساء واختفى لمدة أربع وعشرين ساعة حتى تم العثور على جثته ، وقد أثبت الفحص أنه قتل بطعنة خنجر فى القلب .

وهو رحالة شهير قام برحلات هامة إلى منطقة الصين وبلوخستان وله العديد من المؤلفات القيمة .

قالت مسز كلايتون بصوت مرتجف :

- يا إلهى .. مات مقتولاً ؟.

قال مستر كلايتون :

- كنت أعلم أنه اختفى فى القاهرة بعد أن حمل إليه شخص مجهول رسالة ما غادر الفندق على أثرها ولم يذكر المكان الذى ذهب إليه ..

وبعد أن أصبح ادوارد وڤيكتوريا بمفردهما قالت الفتاة :

- هل تحققت الآن من صحة روايتى .. أم مازلت تعتقد أننى اخترعتها ؟ لقد قتل المسكين كارمايكل أولاً ومن بعده السير روبرت كرفتون لى .. وهكذا يبدو أن كل من يعلم شيئاً عن هذا السر الرهيب مصيره الموت ، ومن يدرى فربما جاء دورى بعد ذلك .

– كلا ياڤيكتوريا .. لا تقولى ذلك .. إنك لا تعلمين شيئاً عن هذه الأسرار وليس لك أى دور فيها ، وأنا مثلك تماماً فى ذلك .

– أنا التى وضعتك فى هذا المأزق .

– ولماذا تقولين ذلك ؟ ورغم كل شئ فهذا الموضوع أضفى المزيد من الإثارة على الحياة التى أصبحت مملة للغاية .

* * *

قال دايكن لڤيكتوريا :

– هل عثرت على صديقك ادوارد ؟.

– نعم ..

– وهل توصلت إلى شئ ؟.

فأجابت بلهجة تنم عن الأسف والضيق : كلا ..

– لا داعى للقلق ياعزيزتى .. عليك أن تروضى نفسك على الصبر الطويل فالأمور ليست بهذه السهولة .

– هل أواصل العمل ؟.

– إذا كان الأمر يهمك .

– نعم .. وقد وعدنى ادوارد بعمل فى غصن الزيتون ، وإننى واثقة من وجود بعض الأشياء الهامة هناك خاصة عن هيلين شيل ، فهم يعرفونها . لقد عرفت ذلك من ادوارد ..

ثم قصت عليه ما ذكره ادوارد فقال :

– إن هذا اكتشاف عظيم للغاية .

– ولكن من هى هيلين شيل هذه ؟ هل هى شخصية حقيقية ؟.

– إنها تعمل سكرتيرة لأحد كبار رجال المال فى نيويورك ، وهو صاحب أحد البنوك الكبرى ، وقد غادرت هيلين شيل نيويورك منذ عشرة أيام وذهبت إلى لندن ولكنها اختفت تماماً ..

– هل يمكن أن تكون قد ماتت فى لندن ؟.

– لا أعتقد .. فلم يتم العثور على جثتها ..

– هل كان من الضرورى حضورها إلى بغداد ؟.

– نعم .. ويؤكد ذلك ما سمعه ادوارد من كاترين .

– أتمنى أن أعرف المزيد من المعلومات عنها فى غصن الزيتون ..

– ولكننى أوصيك بالحذر الشديد لأننا نحارب أعداء لا يعرفون معنى الرحمة ولا يتخاطبون إلا بلغة القتل والدماء ، ولا يترددون فى قتل من يقف أمامهم ، ولذلك فإننى أخشى أن يتم العثور على جثتك فى نهر دجلة .

– كما تم العثور على جثة السير روبرت ؟ بالمناسبة .. لقد كان هناك شئ ما أثار حيرتى فى هذا الرجل عندما رأيته فى فندق تيو ..

ماذا تقولين ؟ شئ فيه أثار حيرتك .. ترى ما هو ؟.

– لا أعرف ، ولكننى أحاول جاهدة أن أعرف .. وربما كان شيئاً لا يستحق كل هذا الإهتمام ..

– إننا نواجه قوى رهيبة وقد تكون لأبسط الأمور نتائج عظيمة .

– نصحنى ادوارد إذا عملت فى المعهد أن أقيم فى غرفة مفروشة لدى إحدى العائلات فهذا أفضل من الإقامة فى فندق .

– إن هذا أفضل كثيراً ويبدو أن صديقك شخص متزن التفكير .

– هل تحب أن تقابله ؟.

– لا داعى لذلك حتى لا يتورط معنا كما تورطت أنت ، وأفضل أن يظل بعيداً عن الشبهات فهذا أفضل له ولنا ..

– من الذى قتل كارمايكل .. هل كان شخص يتعقبه من خارج الفندق ؟.

– كلا .. لقد كان رجالنا يراقبون المنطقة خارج الفندق ولم يكن هناك من يتعقبه .

– أى أن قاتله كان موجوداً بالفندق ؟.

– إن هذا مؤكد ، بل ولابد أن القاتل كان يقيم فى هذا الجناح أيضاً حيث كنت أنا أقف على السلم بنفسى ولم أر أحداً يأتى عن طريقة .. ويمكننا بذلك أن نقوم بعملية حصر للمشتبه فيهم بطريقة سهلة ، فلم يكن فى هذا الجناح إلا أنت ومسز كارديو ترينش و ماركوس تيو وشقيقتاه وخادمان عجوزان يعملان منذ سنوات بالفندق ، وشخص يدعى هاريسون يعمل بشركة البترول فى كركوك ، لكنه يبدو شريفاً ، وممرضة بإحدى المستشفيات .. ولكننى لا أعتقد أن أحدهم هو القاتل .

– ولماذا ؟.

– لأن كارمايكل كان شديد الحذر وكان يتمتع بحاسة سادسة تحميه من الأخطار ، ومن الطبيعى أن يحترس من كل شخص غريب يقترب

منه ، ولابد أن يكون القاتل شخصا يعرفه كارمايكل جيداً أو شخصا تافها لم يحسب له كارمايكل حساباً ..ليتني أعرف ..

* * *

تمكن ادوارد من إيجاد عمل لڤيكتوريا فى معهد غصن الزيتون بمرتب زهيد ، فكانت تقضى ساعات طوالا فى غرفة ضعيفة الإضاءة تكتب عشرات الرسائل والنشرات المتعلقة بأعمال المعهد على آلة كاتبة رديئة كان لديها شعور بأن أعمال هذا المعهد تثير الريبة فتأهبت كل حواسها للعثور على أى شئ يؤكد ظنونها .

كان النشاط الظاهر للمعهد هو الاجتماعات التي تعقد لدعم السلام بين الشعوب حيث تلقى فيها الخطب وتعقد الندوات ويتم توزيع الحلوى والمشروبات وهى أمور بسيطة لا تثير الريبة ولا يوجد ما يدل على أن هناك مؤمرات .

أقامت ڤيكتوريا على ضفة النهر فى أحد البنسيونات وكان معها بعض الفتيات المغتربات ومنهن كاترين .. كان النفور شديداً بين ڤيكتوريا وكاترين .

لم تعرف ڤيكتوريا هل تبادلها كاترين تلك النظرات التى تدل على الكراهية لأنها تنفر منها أم لأنها ترتاب فى أمرها ، وهل هى تغار منها لعلاقتها الوطيدة بادوارد ؟ ورجحت أن تكون تلك الكراهية ناتجة عن غيرتها منها بسبب ادوارد ، رغم أنه كان يعامل الجميع بتحفظ وخاصة ڤيكتوريا .

شعرت ڤيكتوريا بأن الدكتور راتبون يرمقها بنظرات غامضة بين الحين والآخر .. وتساءلت .. ترى هل يشك فى أمرها وفى الأسباب التى جاءت بها إلى المعهد ؟! ..

* * *

اتفق دايكن مع ڤيكتوريا على طريقة اللقاء بينهما عن طريق وضع قطعة صغيرة من منديل وردى اللون على مسمار صغير يقع أسفل سلم على نهر دجلة .. ويقع هـذا السلم فى منطقـة يوجـد بهـا مـرسـى لقـوارب النزهـة والصيد .

سافر ادوارد إلى إيران لأمور تتعلق بالعمل فقررت أن تتصل بدايكن حتى تتحدث معه وتقول أنها لم تعثر على شئ جديد وأنها بدأت تشعر بالملل من عملها بالمعهد .

سألها دايكن :

– هل تشعرين بأن الدكتور راتبون يتمتع بالأمانة ؟.

– لست أدرى تماماً .

– إننى فى الحقيقة أرتاب فى هذا الرجل وأشعر بالقلق من ناحيته ، فسوف يعقد هنا مؤتمرا دوليا يضم العديد من الزعماء وإذا مااقترب شاب من الثوار من أحد الزعماء أو حاول إلقاء قنبلة على موكبه فسوف يتم إحباط محاولته قبل أن يبدأ فيها ، أما بالنسبة للدكتور راتبون فالوضع مختلف ، فمعرفته الوثيقة بالزعماء وسمعته الطيبة ودعوته للسلام .. كل هذه عوامل تجعله فى موقف يمكنه من دعوة أى زعيم أو الاقتراب منه بدون قلق ، وبذلك

سوف تتاح له كل الفرص الممكنة .. ويهمنى أن أعرف كل شئ عنه .

* * *

عاد ادوارد من رحلته فى اليوم التالى وقال لڤيكتوريا وهو يقدم إليها بعض الأوراق لكتابتها :

- أن الدكتور راتبون يطلب منك كتابة هذه الأوراق حالاً مع الاهتمام بالورقة الثانية التى تحتوى على الكثير من الأسماء العربية الصعبة .

انتهت ڤيكتوريا من كتابة الصفحة الأولى بسهولة ولكنها ما كادت تنظر إلى الصفحة الثانية حتى أدركت سر تنبيه ادوارد بالاهتمام بها ، فقد وجدت ورقة صغيرة ملصقة بها وقرأت فيها هذه الكلمات :

(عليك أن تذهبى للنزهة على نهر دجلة فى الحادية عشرة صباحاً وسوف أنتظرك هناك) .

وتساءلت لماذا يريد ادوارد أن يقابلها ؟.

بعد أن انتهت ڤيكتوريا من الكتابة حملت الأوراق وذهبت إلى مكتب الدكتور راتبون الذى تصفحها ثم سألها فجأة :

- ترى هل أنت سعيدة بالعمل هنا يا ڤيكتوريا ؟.

- نعم .. شكراً لك ..

فنظر إليها بحدة وقال :

- ولكن الأجر الذى تحصلين عليه ضئيل للغاية ..

- إننى لأهتم بذلك .. ويكفى أننى أؤدى عملاً أحبه ..

- ولكن هذا العمل لا يوفر لك الحد الأدنى من مطالب المعيشة !.

- إننى أقيم فى غرفة ذات أجر بسيط لدى أسرة ارمنية ..

- ولكن كاتبات الاختزال مطلوبات للعمل فى بغداد .. فلماذا لا تعملين هناك بأجر أفضل ؟.

- ولكننى أفضل العمل هنا ..

- أعتقد أن العمل هناك أفضل لك .. شعرت بنبرات التهديد واضحة فى صوته فقالت :

- ولماذا ؟.

- أنها نصيحة بسيطة أقدمها لك .

- ولكننى لا أفهمك يا دكتور .

قال الرجل بلهجة أكثر حدة :

- يجب ألا يقحم المرء نفسه فى أمور لا شأن له بها .. لماذا جئت للعمل هنا ؟.

هل جئت من أجل ادوارد ؟.

- كلا ..

- إنه شاب صغير ومازالت أمامه سنوات طويلة من العمل والكفاح حتى يصبح فى وضع يمكنه من الاقتران بك ، وأنصحك أن تبحثى عن شخص غيره وعن عمل فى بغداد أيضاً .

فقالت بحدة :

- ولكننى أحب العمل هنا يادكتور فى معهد غصن الزيتون .

هز الرجل كتفيه بينما انصرفت ڤيكتوريا وهى تشعر بالقلق والحيرة ترى هل ارتاب فيها الرجل وأدرك أنها تعمل جاسوسة ؟!.

★ ★ ★

الفصل التاسع

ذهبت ڤيكتوريا للقاء ادوارد فى الموعد المحدد فوجدته ينتظرها بجوار سيارة سوداء .. وعندما اقتربت منه طلب منها الصعود إلى السيارة ..

سألته :

– إلى أين نذهب ؟.

– إلى أطلال بابل .. أليس من حقنا الحصول على بعض الترفيه بعيداً عن المعهد ؟.

وبمجرد أن سمعت اسم المعهد تذكرت تهديدات الدكتور راتيون وشعرت بالقلق فذكرت لادوارد تفاصيل الحوار .. فقال :

– يبدو أن الأمر خطير يا ڤيكتوريا ، فمن الواضح أن هذا الرجل يهددك وربما كان ينوى بك شراً ..إننى أخشى أن تتطور الأموور تطوراً سيئاً حتى تنتهى بالعثور على جثتك طافية فى نهر دجلة .

وبعد حوالى ساعتين قطعتهما السيارة فى طريق وعر توقف ادوارد فى أطلال بابل التى كانت مختلفة تماماً عن أطلال بعلبك بأعمدتها الرخامية

وأقواس النصر .. كانت أطلال بابل عبارة عن أكوام من الطوب والحجارة وحوائط متهدمة .

جلسا يتناولان الطعام فى أحد الأركان ثم جلسا فوق الرمال فقالت ڤيكتوريا لنفسها :

– لاأصدق أننى الآن فى بلاد الشرق .. وأخشى أن أفتح عينى فأجد أننى فى منزلى بلندن أو فى مكتب مستر جرينهولز ، وأن ادوارد هذا ماهو إلا وهم !!.

ولكنها فتحت عينيها فوجدت أنها نائمة تحت شمس العراق المحرقة التى تختلف تماماً عن شمس لندن .

كما وجدت ادوارد بجوارها فأخذت تتأمله .

نظرت إلى شعره وعنقه .. إن عنقه يخلو من التجاعيد والبثور والندبات مثل السير روبرت .. كانت هناك شامة واضحة فى عنق الرجل .. لقد جلس أمامها فى الطائرة ورأت هذه الشامة جيداً .

وفجأة تذكرت شيئاً مهولاً فأطلقت صرخة مكتومة .

هب ادوارد من رقدته فزعاً وسألها :

– ڤيكتوريا .. ماذا بك ؟.

– لقد تذكرت شيئاً خطيراً بخصوص السير روبرت كرفتون لى ..

– السير روبرت ؟ وما الذى ذكرك به الآن ؟.

– كانت هناك شامة واضحة فى عنقه .

– ماذا فى ذلك ؟ إنه أمر عادى .

– كلا .. لقد كان جالساً أمامى مباشرة فى الطائرة ورأيت هذه الشامة جيداً.. ولكننى عندما رأيته فى فندق تيو ، لم تكن الشامة فى عنقه .

– لست أفهمك ؟.

– حاول أن تفكر معى .. كانت الشامة فى عنقه فى الطائرة ولكن فى الفندق لم أر أثراً لها .. ألا يدل ذلك على شئ ؟.

– ربما قام بإزالتها !.

– إذا فعل ذلك فلابد أن تترك أثراً ما .

كلا يا إدوارد .. إن الرجل الذى كان فى فندق لم يكن هو السير روبرت كرفتون لى .. حملق ادوارد فيها فى ذهول ثم هتف :

– ماذا تقولين .. هل فقدت عقلك ؟ لقد ذكرت أنك قابلته فى الفندق.

– رأيت معطفه وقبعته وظهره فقط ..

– ولكنهم تعرفوا عليه فى السفارة .

– إنه لم يذهب إلى السفارة إلا قليلاً ، كما أن السفير لم يكن هناك وقد استقبله ملحق صغير لم يكن يعرفه من قبل ، ولا تنس أنه كان رجلاً كثير الأسفار لم يره الناس فى انجلترا كثيراً .

– ولماذا يقتل ؟! ..

– من المؤكد أنه قتل بسبب كارمايكل ، فقد كان من المقرر أن يلتقى به فى بغداد حتى يعرف الحقائق المذهلة التى توصل إليها ، ولم يكن قد رآه

من قبل ولذلك فعندما شاهده فى فندق تيو لم يعرفه وأعتقد أن الذى قتل كارمايكل ، هو السير روبرت المزيف .. نعم هذه هى الحقيقة التى عرفتها لأول مرة الآن يا ادوارد ..

- كيف أصدق ذلك .. لقد قتل السير روبرت فى القاهرة بعد ذلك .

- لقد قتل فى القاهرة عندما كنت هناك ..

- إن هذا جنون ياڤيكتوريا .. كيف تقولين ذلك ؟.

- إن الأمر فى غاية البساطة ياادوارد .. لقد هبطت بنا الطائرة فى مطار القاهرة فجلسنا فى صالة الترانزيت حتى يتم تموين الطائرة فى هذه الأثناء كان السير روبرت يجلس بالقرب منى عندما جاءت إحدى المضيفات وأبلغته أنه مطلوب فى مكتب الادارة وأشارت إلى غرفة قريبة ، وفى هذا الوقت تركت مكانى لشراء بعض المرطبات وتصادف أن مررت بالقرب من هذه الغرفة وكان فوقها لافته كتب عليها (مكتب المراقبة) ، وفى نفس اللحظة خرج السير روبرت .

وإننى الآن واثقة أن الذى خرج من المكتب كان هو السير روبرت المزيف أما الحقيقى فلابد أن قاتليه كانوا بانتظاره داخل المكتب ، ومن الطبيعى انهم قاموا بتخديره ثم قتلوه بعد أن انتهى السير روبرت المزيف من مهمته ببغداد .

نظر إليها ادوارد بدهشة ثم قال :

- انها قصة بوليسية رائعة يا ڤيكتوريا ولكننى لا أستطيع أن أصدقها .. ماهو دليلك على صدق قصتك ؟.

- الشامة .. إنها دليل قاطع .

- لكن .. ربما ..

- أنا واثقة من ذلك وهناك دليل آخر وهو اللافته التى تم وضعها على المكتب ، لقد تذكرت فيما بعد أنها أزيلت من مكانها .

وهناك شئ آخر أكثر غرابة .

لقد رأيت تلك المضيفة التى استدعت السير روبرت فى معهد غصن الزيتون بالبصرة .. كانت تتحدث مع كاترين ، كان ذلك فى المرة الأولى التى ذهبت فيها إلى المعهد للبحث عنك ، كنت أشعر أننى رأيتها من قبل ولكننى لم أتذكر إلا الآن .

يا إلهى .. لقد وضحت الصورة تماماً يا ادوارد .. يجب أن تصدقنى ..

- لابد أن توثقى علاقتك بكاترين بأى صورة .. تظاهرى بأنك معجبة بها وأنك مؤمنة بنفس آرائها وعقائدها حتى يمكنك معرفة أصدقائها وضيوفها الذين يزورونها من الخارج ..

- نعم .. سوف أفعل ذلك ، ولكن هل أطلع دايكن على هذه الحقائق التى ذكرتها لك ؟.

- نعم ولكن عليك أن تنتظرى يوما أو اثنين فربما اكتشفت شيئاً جديداً .

شعرت ڤيكتوريا بالسعادة لنجاحها فى حل كل هذه الألغاز المعقدة وازدادت ثقتها بنفسها كثيراً مما سهل عليها مهمة الاقتراب من كاترين وملاطفتها رغم الكراهية التى تضمرها لها .

أخذت تطرى تسريحة شعرها وسألتها عن محل (الكوافير) ، الذى

تذهب إليه .. فقالت لها كاترين :

- أنها فتاة ارمنية يمكننى أن أصحبك اليها مساء اليوم إذا أردت ..

واتفقت معها على أن يذهبا سوياً مساء اليوم .

وفى المساء خرجا من المعهد وأخذت كاترين تجتاز عدداً من الشوارع والدروب ومعها ڤيكتوريا حتى وصلتا إلى محل الكوافير ..

استقبلتهما الآنسة انكوميان الارمنية صاحبة المحل والتى كانت تتحدث الانجليزية بصعوبة ، أدخلت انكوميان ڤيكتوريا إلى غرفة نظيفة ثم سكبت الصابون على رأسها وأخذت تدلك رأسها ثم طلبت منها أن تضع رأسها تحت الصنبور ففعلت وفى نفس اللحظة شمت رائحة قوية جعلتها تتذكر رائحة المستشفيات ثم أحست بشئ مبلل يوضع على أنفها.

حاولت أن تقاوم ولكن بلا جدوى .. فقد شعرت بيدين من حديد تقبضان على رأسها وأنفها .. وبعد لحظات غابت عن الوعى تماماً .

* * *

أفاقت ڤيكتوريا أخيراً وشعرت بصداع رهيب يكاد يحطم رأسها .. حاولت أن تتذكر ما حدث ولكن ذهنها كان مشوشاً وأفكارها مضطربة للغاية .. تذكرت أنها ألقيت فى سيارة مع أشخاص يتحدثون العربية .. كان الأمر يبدو كالحلم المتقطع .. ثم سلطت على عينيها أضواء قوية للغاية وبعد ذلك غرز أحدهم أبرة فى ذراعها فغابت عن الوعى تماماً .

ولكن ماذا حدث لها خلال هذه الفترة ؟.

إنها الآن واثقة من استعادة وعيها تماماً .

حاولت أن ترتب أفكارها بما طبعت عليه من قوة إرادة وعقل منظم تجاهلت الشعور بالألم وتذكرت لقاءها مع ادوارد فى أطلال بابل والشمس المحرقة ثم العاصفة الرملية التى تعرضت لها وهى عائدة إلى البصرة وحديثها مع كاترين ثم ذهابهما سوياً إلى صالون الفتاة الأرمنية وتلك الرائحة النفاذة التى جعلتها تغيب عن الوعى .. من المؤكد أنها رائحة الكلوروفورم .. ترى ماذا حدث بعد ذلك ؟.

بدأت بالتعرف على المكان الذى كانت فيه .. وجدت نفسها ترقد على فراش صلب وعندما حاولت النهوض وجدت كل شئ يدور حولها فقررت أن تنام حتى تستعيد توازنها .

كان قرارها سليماً لأنها شعرت بتحسن كبير عندما استيقظت وكان الوقت نهاراً .. أخذت تفحص المكان بعناية ، فوجدت نفسها فى غرفة صغيرة ذات أرض طينية لا يوجد بها سوى الفراش وبجواره منضدة بالية فوقها علبة من الصفيح .. كانت هناك نافذة صغيرة فى أعلى الجدار فصعدت اليها ونظرت من خلالها واكتشفت أن غرفتها تقع فى الطابق الثانى وأمامها العديد من أشجار الكافور والنخيل .

اتجهت نحو الباب فوجدته مغلقاً .. حاولت أن تفتحه عنوة ولكنها وجدته محكم الإغلاق فعادت إلى فراشها وجلست بهدوء تعصر ذهنها.

من المؤكد أنها ليست فى بغداد .. ولكن أين هى ؟ وماذا يريدون منها؟.

وهنا تذكرت حديث مستر دايكن ونصيحته لها بألا تحاول المقاومة وأن تذكر كل ما تعرفه ، وابتسمت ابتسامة حزينة وهى تتذكر الحقنة التى حقنوها بها .. فلاشك إنها ذكرت كل ما تعرف وهى تحت تأثيرها ..

ولكن من حسن الحظ أنها لم تقتل وإنها مازالت تنعم بالحياة .. فيجب عليها أن تتماسك حتى يأتى ادوارد لإنقاذها ، ولكن هل يمكنه أن يساعدها حقاً ؟ وماذا سيكون شعوره عندما يكتشف اختفاءها ؟.

ترى هل سيلجأ إلى مستر دايكن أم سيحاول التصرف بمفرده ؟.

وهل هو ذكى إلى درجة الشك فى كاترين ؟.

إن الأمور تبدو شديدة التعقيد ولكن كل شئ يتوقف على ما سيفعله ادوارد .. إنه شاب وسيم وطيب القلب ولكن هل يتمتع بالذكاء ؟.

إن الأمر فى حاجة إلى شخص شديد الذكاء ولديه القدرة على التصرف بحكمة فى هذا الوقت العصيب .

أما مستر دايكن فهو يتمتع بالذكاء الخارق والقدرة الفائقة على التصرف الصحيح فى الوقت المناسب .. ترى هل سيبحث عنها ؟ ولكن ما أهميتها بالنسبة له ..

أنها واحدة من مئات العميلات اللائى يستخدمهن ومن المؤكد أن الكثيرات منهن يلقين حتفهن خلال عملهن وهذا شئ متوقع فى كل وقت .

ولذلك فمن المؤكد أنه لن يضيع وقته الثمين فى البحث عنها .. كما أن حذرها فى بداية عملها معه فلا تلومن إلا نفسها .

وكذلك فقد حذرها الدكتور راتيون تحذيراً قوياً ولكنها تجاهلته تماماً .

وفى هذه اللحظة سمعت وقع أقدام بالخارج تقترب من باب الغرفة ثم شعرت بحركة المفتاح فى القفل وبعد قليل دخل إلى الغرفة رجل عربى وهو يحمل صحفة عليها عدة أطباق ملأى بالطعام وضعها أمامها وتحدث

بالعربية وأشار إليها ففهمت أنه يدعوها لتناول الطعام ..

ثم غادر الغرفة وأغلق الباب خلفه بالمفتاح ..

كانت تشعر بالجوع الشديد ووجدت الطعام يتألف من الارز والخضروات الطازجة والخبز بالاضافة إلى إناء به ماء فشرعت تلتهمه بنهم شديد حتى أتت عليه كله .

كان لابد لها أن تأكل حتى يمكنها التفكير بهدوء .

ترى كم يوماً مضى على اختطافها ؟ يومين أو ثلاثة أو أكثر ؟! .

كان الوقت يمر ببطء شديد وهى جالسة فى مكانها أو تذرع الغرفة جيئة وذهاباً ولا تعرف ماذا تفعل .. وبعد ساعات فتح الباب ودخل الرجل مرة أخرى وهو يحمل أوانى الطعام فوضعها وحمل الأوانى الفارغة وكانت تقف خلفه امرأتان تضحكان .

وقبل أن ينصرف من الباب قال لها باللغة العربية :

– غداً .. غداً ..

وكانت تعرف معنى هذه الكلمة .

أغلق الرجل الباب فوجدت نفسها تشعر بالقلق الشديد .. فلابد أن هناك شيئا ما سوف يحدث غداً .. ترى ما هو ؟.

لايوجد سوى احتمالين فقط .. ربما أن يطلق سراحها وإما أن تقتل .

كانت مجرد فكرة الموت فى الغد تثير خوفها الشديد فانتظار الموت أصعب كثيراً من حدوثه ولأول مرة بدأت تفكر بجدية فى كيفية الهروب من

هذا السجن ..

لقد انقضت الساعات السابقة وهى تفكر فى موقفها الصعب وكيف جاءت إلى هنا ولكنها لم تحاول التفكير فى الهروب .. ربما كان لديها شعور بأن ادوارد سوف ينقذها فى الوقت المناسب .. أما الآن فلابد أن تعمل بسرعة لأن الاحتمال الثانى هو الأرجح وهو احتمال قتلها .

أخذت تفحص الباب مرة أخرى فوجدت أن فتحه صعب للغاية ، فاستدارت واتجهت إلى النافذة ووجدت أن عملية الفرار ممكنة عن طريقها ولكن القفز من ارتفاع يبلغ حوالى خمسة أمتار قد يؤدى إلى كسر ساقيها .

فكرت فى صنع حبل من أغطية الفراش ولكن للأسف لم تكن هناك أغطية .. فماذا تفعل ؟.. لابد أن تهرب قبل أن يأتى الصباح ولن يشك فيها الحراس البسطاء أبداً ، فهم لا يتخيلون أن امرأة مثلها لديها القدرة على الهرب من هذا الارتفاع .. ومن حسن الحظ أن الذين اختطفوها لم يكونوا بالمنزل ولابد أنهم سوف يحضرون فى الصباح ..

تناولت العشاء بهدوء وبشهية كبيرة .. كان عشاؤها يتكون من الأرز واللحم والبرتقال فالتهمته ثم مدت يدها لتتناول قدح الماء ولكن الاناء انقلب على الأرض وأحدث حفرة صغيرة فى الأرض الطينية مما أوحى إليها بفكرة رائعة .

يمكنها أن تحصل على المفتاح من الباب بحيلة بارعة .. ولكن الأمر يتوقف على وجود المفتاح فى القفل .

نظرت من ثقب القفل فوجدت المفتاح به فرقص قلبها طرباً .

كانت بحاجة إلى شئ صلب لتدفع به المفتاح .. وكانت هذه مشكلة فقد استولوا على حقيبتها ولكنها لم تيأس وعلى الفور اهتدت إلى حيلة ناجحة .. نزعت الغطاء الجلدى الذى يغطى كعب حذائها وبرمته حتى أصبح مستديراً ثم دفعت المفتاح بحذر حتى سقط فى الناحية الأخرى دون أن يحدث أى صوت لأن الأرض كانت طينية .

قالت لنفسها وقد تملكتها النشوة :

- لابد أن أعمل بسرعة قبل أن يسود الظلام وتتعذر الرؤية .

سكبت بعض الماء أسفل الباب ثم أخذت تحفر الأرض باستخدام ملعقة الطعام حتى تمكنت من إحداث فجوة صغيرة أدخلت فيها يدها والتقطت المفتاح ..

وبعد أن استردت أنفاسها دفعت المفتاح فى القفل وأدارته بحذر شديد ثم فتحت الباب بكل هدوء وغادرت الغرفة .

وجدت نفسها فى غرفة أخرى أكثر اتساعاً وكان بابها مفتوحاً فنظرت منه بحذر لتجد السلم أمامها .. وقررت أن تنتظر حتى يحل الظلام تماماً فتهرب دون أن يراها أحد ، ووجدت فى أحد الأركان عباءة سوداء فوضعتها فوقها حتى تخفى شخصيتها .

ظلت كامنة فى الظلام حتى انتصف الليل فتسللت بهدوء وأغلقت باب غرفتها من الخارج وتركت المفتاح كما كان وسمعت غطيط الحارس فى غرفة بجوار السلم .. غادرت المنزل بهدوء وعبرت الحديقة ثم انطلقت بعيداً عن السجن .

أطلقت ساقيها للريح وهى لا تعرف أين هى ولا إلى أين تتجه .. كان كل ما تفكر فيه الآن هو الابتعاد عن هذه القرية بقدر المستطاع حتى لا يصل إليها سجانوها ..

وبعد أن ابتعدت عن المنزل بمسافة كبيرة وشعرت بالأمان بدأت تسير على مهل وتفكر فى الخطوة التالية .

كانت خيوط الفجر قد بدأت تبدد الظلام الكثيف وعلى ضوئها رأت الصحراء المترامية وشعرت بالوحشة والفرا غ وهمت بأن تعود إلى القرية حتى لا تكون بمفردها ، ولكنها تذكرت الأخطار التى تهددها فتماسكت ، ثم أدركت أن المسافة التى قطعتها يسهل قطعها فى دقائق بالسيارة ولذلك فهى ليست فى أمان .

وضعت العباءة على رأسها وأخفت وجهها تماماً ثم ضمتها حول جسدها فبدت كالأعرابيات وجلست على قمة تل تراقب الطريق وتتمنى أن تمر سيارة حتى تقلها إلى مكان بعيد ..

لم تشعر بنفسها وهى تستغرق فى النوم ، وعندما استيقظت كانت الشمس مشرقة .. شعرت بالظمأ الشديد ولكن أين الماء ؟.

وبعد دقائق سمعت صوت محرك سيارة فتطلعت حولها حتى لمحت سيارة مقبلة من الاتجاه المضاد للقرية ويبدو أنها كانت تقصدها ، وعلى الفور اختفت خلف التل وراحت تراقب السيارة التى اقتربت منها ولمحت بداخلها رجلا عربيا وبجواره آخر أوربى .

شعرت بالحيرة .. تري هل هما من الأعداء فتتجنبهما أم تلجأ إليهما

وتطلب المساعدة منهما ؟.

وعندما اقتربت منها السيارة ظنت أن الرجلين قد ابصراها فانبطحت على الأرض وكتمت أنفاسها فوجدت أن السيارة توقفت تماماً وهبط منها الرجلان وأخذ الرجل الأوربى يصعد التل ويلتقط بعض الأشياء من الأرض أذن فهو لا يقصدها ولا يعلم عن وجودها شيئ .

قررت أن تلجأ إليه .. نهضت واقفة واتجهت إليه وقالت :

- يا إلهى .. إنني سعيدة بوجودك هنا .

نظر إليها الرجل بدهشة وقال :

- من أنت ؟ وماذا تفعلين هنا بحق الشيطان ؟ من الواضح أنك انجليزية .

قالت ضاحكة :

- نعم .. ويبدو أنك أنت أيضاً انجليزى .. هل يمكنك أن تذهب بى إلى بغداد ؟.

- إننى قادم على التو من بغداد .. ماذا تفعلين هنا فى قلب الصحراء؟.

- لقد تم تخديرى واختطافى بطريقة عجيبة وعندما أفقت وجدت نفسى فى هذه القرية .

- هل تقصدين قرية مندلى ؟.

- لا أعرف اسمها ، ولكننى تمكنت من الفرار من سجنى فى ظلام الليل وظللت طوال الليل أبتعد عن القرية فتوغلت فى الصحراء كما ترى ، وعندما

رأيت السيارة خشيت أن يكون بها أحد أعدائى فتواريت وراء التل .

كان الرجل يصغى إليها فى هدوء ويتأملها .. كان شاباً طويل القامة أشقر الشعر يناهز الخامسة والثلاثين من عمره .. بدا على وجهه أنه لم يصدق كلمة مما ذكرته فقالت له بغضب :

- يبدو أنك لا تصدقنى .. ولكن هذه هى الحقيقة .

- إنها قصة لا يمكن تصديقها بسهولة .

شعرت بالحزن .. فهى كانت تكذب دائماً ويسارع الناس إلى تصديقها أما عندما بدأت تذكر الحقائق فلم يصدقها أحد .. قالت له :

- الحقيقة المؤكدة أننى سوف أموت من الظمأ إذا لم تقدم إلى جرعة ماء حالاً ..

نظر إلى شفتيها فوجدهما جافتان فطلب من السائق إحضار الماء من السيارة ثم قدمه إلى ڤيكتوريا التى شربت حتى ارتوت فقال لها :

- إننى أدعى ريتشارد بيكر ..

- وأنا ڤيكتوريا جونز .. عمى هو الدكتور بونسفت جونز عالم الآثار الشهير وسوف ألحق به .

كانت تريد أن تثير اهتمامه بها حتى يحملها معه فى سيارته ولكنه وجه إليها ضربة قاسية عندما قال :

- هذا من حسن الحظ ، فأنا أيضاً سوف ألحق به .. إنه الآن فى مكان يبعد عن هنا حوالى خمسة عشر ميلاً فقط .

لم تجد لديها القدرة على الرد فسارت خلفه إلى السيارة بدون كلمة واحدة وبعد أن جلست فى المقعد الخلفى قال لها :

- كنا نتوقع حضورك .. ألست متخصصة فى عالم الأجناس البشرية؟، لقد وصلت بسرعة لم يهتم بسماع ردها واستطرد قائلاً :

- إن هذا التل به كمية كبيرة من آثار الحضارات القديمة خاصة الحضارة الأشورية ، وإننى سعيد للغاية بوجودك هنا فوق هذا التل الأثرى رغم مشاغلك المتعددة ، فلابد أنك تعشقين الأماكن الأثرية مثلى تماماً ..

ولكن ڤيكتوريا لاذت بالصمت .. فماذا تقول ؟!.

لقد هربت من الموت ولكنها وضعت نفسها فى موقف دقيق للغاية .. فبمجرد وصولها إلى مقر البعثة سوف يفتضح أمرها .

فكرت فى الاعتراف لبيكر بالحقيقة ولكنها خشيت أن يتركها فى الصحراء عندما يعلم بأنها خدعته وقررت أن تعترف بالحقيقة للدكتور جونز قال لها بيكر :

- لن نذهب إلى قرية مندلى فلا داعى للقلق .

أخذت السيارة تشق طريقها فى الصحراء ، وفى الطريق ، مر إعرابيان يحمل أحدهما صندوقاً والآخر يحمل منضدة صغيرة فأشار إليهما بيكر بالوقوف ثم دعا ڤيكتوريا للهبوط من السيارة حتى تشهد هذه الصور الطريفة .

كان الصندوق به عدسة ينظر المرء من خلالها فيشاهد العديد من الصور من جميع أنحاء العالم .. فهى صورة للسينما البدائية فى أول

عهدها .. وكان الرجل يوضح معانى الصور .

وبعد أن انتهي العرض منحهما بيكر بعض النقود فتقبلاها شاكرين وانصرفا فقالت ڤيكتوريا :

- إلى أين ذهبا ؟.

- إلى أى مكان يوجد به بشر .. فهما يختاران دائماً الأماكن النائية البعيدة عن الحضارة .. وبعد قليل قال بيكر :

- ها نحن قد اقتربنا من الموقع .

شعرت ڤيكتوريا أن اللحظة الحاسمة قد اقتربت .. نظرت أمامها فرأت تلاً منخفضاً وعند سفحه بيت صغير مبنى بالطوب .

توقفت السيارة أمام البيت فأسرع بعض الخدم للترحيب بالقادمين .

قال بيكر لڤيكتوريا :

- يبدو أنهم فوجئوا بحضورك قبل موعدك ، ولكن كل شئ سيصبح على مايرام .. بعد قليل سوف يتم تجهيز غرفتك ، حتى يعود الدكتور بونسفوت جونز ، من جولته يمكنك الاغتسال والحصول على قدر من الراحة .. أما أنا فسوف ألحق به .

دخلت إلى البيت فوجدت به بعض الأوانى القديمة والموائد .

قادها الخادم إلى غرفة صغيرة بها فراش ودولاب ومائدة ومقعد وعلى الجدار وجدت مرآة وأحست بالارتياح .

أسرعت إلى المرآة ونظرت فيها .

ولكنها ذهلت ..

لم تكد تعرف نفسها .

لقد أصبح لون شعرها ذهبياً باهتاً !!.

★ ★ ★

الفصل العاشر

عندما ذهب ريتشارد بيكر إلى الدكتور بونسفوت جونز وجده يقوم بالحفر بنفسه .. كان فى هذه اللحظة يمسك المعول بيده ويدق على أحد الجدران بحرص الخبير العالم ، وعندما رأى مساعده ابتسم وقال بهدوء .

- هل عدت أيها العزيز ؟ لم أكن أتوقع عودتك قبل يوم الثلاثاء .

- لقد عملت بسرعة وكان التوفيق حليفى .

اقترب العالم الأثرى من الجدار وقال لبيكر :

- أرجو أن تقترب من هذا الجدار وتفحصه بدقة .. أريد أن أعرف رأيك لقد بدأ الجدار يظهر رغم أننا لم نحفر أكثر من مرتين .

اقترب منه بيكر وأخذ الرجلان يتناقشان فى المسائل الفنية المعقدة حوالى نصف ساعة ثم قال بيكر :

- آه .. نسيت أن أخبرك إننى عدت بصحبة فتاة .

- فتاة ؟ من هى ؟.

- ابنة أخيك ؟.

نظر إليه الرجل بدهشة وقال :

- ماذا قلت ؟ ابنة أخى ؟.

- نعم .. لقد قالت ذلك .

- ولكننى لا أذكر الآن أن لى ابنة أخ .

لم تكن لهجته قاطعة كما لو كان غير واثق من هذا الأمر تماماً .. فقال بيكر :

- قالت أنها جاءت للعمل معنا .

فتهلل وجه العجوز وهو يقول :

- لابد أنها فيرونيكا .. من المؤكد أنها هى ..

- قالت إن اسمها ڤيكتوريا .. أعتقد ذلك .

- نعم .. نعم .. لابد أنها ڤيكتوريا كما أخبرنى الاستاذ ايمرسون .. هل تذكره ؟ إنه الأستاذ بجامعة كمبردج .. إنها فتاة متخصصة فى علم الأجناس البشرية ..

- وهل كنت فى انتظارها ؟.

- نعم .. ولكننى لم أكن أتوقع وصولها بهذه السرعة فلا يوجد لدينا حتى الآن ما نقدمه إليها .. كنت أظن أنها ستحضر بعد أسبوعين ولكن يبدو أننى نسيت كما ضاعت الرسالة إن هذا لايهم .. فيمكننا الاستفادة منها فى تسجيل القطع الأثرية التى عثرنا عليها .

- ألم يحدثك الاستاذ ايمرسون عن هذه الفتاة ؟ ألم يذكر مثلاً أنها غريبة الأطوار ؟.

- لا أفهم ماذا تعني !.

- هل أصيبت مثلاً بمرض عصبى أو شئ من هذا القبيل ؟.

- كلا .. لقد ذكر فقط أنها أرهقت نفسها فى الامتحان الأخير .. ولكن لماذا تسأل ؟.

- لقد عثرت عليها فى مكان مهجور تماماً فى الصحراء بعيداً عن العمران ، وذكرت لى قصة عجيبة حيث قالت إن أعداءها قد قاموا بتخديرها فى صالون للسيدات أثناء تصفيف شعرها ثم نقلوها إلى قرية مندلى وسجنوها بأحد المنازل ولكنها تمكنت من الفرار فى الظلام .. إنها قصة عجيبة لايمكن تصديقها بسهولة .

قال الدكتور :

- معك حق .

- يبدو أنها اختلقت هذه القصة من وحى خيالها ولذلك تساءلت عن إصابتها بمرض عصبى أو نفسى حتى تدعى مثل هذه الأشياء .

- لا داعى للقلق فسوف تهدأ هنا فى الصحراء .. أين تركتها ؟.

- فى غرفة الضيوف .. وهى لا تحمل معها أى ثياب .

- ترى هل تتوقع أن أعيرها بعض ثيابى ؟ إننى لا أملك إلا القليل ..

* * *

أخيراً حضر الدكتور بونسفوت جونز ، وكان مختلفاً تماماً عما تخيلته ڤيكتوريا .. كان قصير القامة يميل للبدانة . خفيف الشعر رحب بها ببساطة وهو يقول

- مرحباً بك يافيرونيكا .. أقصد ڤيكتوريا .. إننى سعيد لحضورك ولكنك حضرت فى وقت مبكر حيث كنا نتوقع حضورك بعد أسبوعين كيف حال ايمرسون ؟ هل مازال يعانى من ضيق التنفس ؟.

فقالت بثبات :

- إنه الآن أحسن حالا .

- إنه شديد القلق على صحته دائماً وهذا ما يسبب له المزيد من المتاعب .. ولكن ماذا عنك ؟.. لقد أخبرنى بيكر أنك قد فقدت أمتعتك وللأسف لن يمكننا أن نرسل بالسيارة إلى المدينة قبل ثمانية أيام . كما أننا لا نملك إلا القليل جداً من الملابس فلا يمكننا أن نعيرك منها شيئاً

- لا داعى للقلق ياسيدى فسوف أتصرف .

- وهناك مشكلة أخرى ستواجهك .. أننا حتى الآن لم نكتشف المقابر التى تمكنك من ممارسة مهمتك كعالمة فى الأجناس ولذلك فسوف نستعين بك فى بعض الأعمال الأخرى .. هل لديك دراية بالتصوير الفوتوغرافى ؟

- نعم ..

ذهبت بعد الغداء مع الخادم إلى مخزن المهمات حيث اختارت بعض الأشياء الضرورية لها ثم عادت إلى غرفتها واستلقت فى فراشها وأخذت تفكر فى هذا الوضع الجديد .. لقد ظنوا أنها فتاة أخرى تدعى فيرونيكا

ولكن من حسن الحظ أن هذه الفتاة لن تصل قبل ثمانية أيام يمكنها أن تقضيها بدون قلق ، كما أن هذه الفتاة متخصصة فى علم الأجناس .. فما هو هذا العلم ؟..

لابد من البحث فى القاموس عن معناه للتسلح بالمعرفة الضرورية .. ومن حسن الحظ أن الدكتور رجل طيب القلب كثير النسيان فلا خوف منه البتة .. أما ريتشارد بيكر فهو شاب متكبر لا يقتنع بسهولة ويشك فيها دائماً .. إنها لا تميل إليه ..

عادت بها الذاكرة إلى تلك الفترة التى عملت فيها كاتبة اختزال فى معهد الآثار بلندن وأخذت تستعيد الكثير من المصطلحات الفنية التى مرت بها خلال عملها .

ولابد أن تستغل فترة الثمانية أيام القادمة أحسن استغلال فتعيد ترتيب أفكارها وتحديد موقفها .

وماذا عن معهد غصن الزيتون ؟.

من المؤكد أنهم يتساءلون عما حدث لها أما أعداءها فلاشك أنهم يعتقدون أنها هلكت فى الصحراء من الجوع والعطش ولن يخطر ببالهم أبداً إنها انضمت إلى بعثة الدكتور بونسفوت جونز ، فى التل الأسود .. ولكن ادوارد ما هو موقفه ؟.

شعرت بالحزن الشديد من أجله وتمنت لو استطاعت الاتصال به حتى تطمئنه .. ترى ماذا سيفعل لو علم أن كاترين كان لها يد فيما وقع لها ؟.

وتذكرت شعرها المصبوغ باللون الذهبى .. ترى لماذا فعلوا ذلك ؟.

بدأت ڤيكتوريا تتأقلم على الحياة مع البعثة ووجدت أن الأمور لا تخلو من بعض المتعة والإثارة ، وتفتحت شهيتها لمطالعة العديد من الكتب التى توجد بالمكتبة وحرصت على الاقتصاد فى الحديث حتى لا تقع فى أى خطأ يكشف جهلها .

كانت تذهب معهم إلى مناطق الحفر وتقوم بالتصوير ثم ترتيب القطع الأثرية وتسجيلها .. كانت تخشى أن يتم العثور على أحد المقابر ويطلب منها الدكتور بونسفوت جونز ، أن تفحص ما بها من جماجم وهياكل عظمية وقررت أن تدعى المرض إذا حدث ذلك .

ومن حسن الحظ أن الدكتور لم يكتشف إلا أطلال قصر قديم ، ومن العجيب أنها شعرت بالإثارة الشديدة أمام هذا الاكتشاف فقال لها بيكر :

– فى المرة الأولى التى اشتركت فى أعمال الحفر وتوصلت إلى أحد الاكتشافات كنت أشعر بالحماس والانفعال .

– هل تعرف هذه المناطق جيداً ؟ إنك تتحدث العربية بطلاقة ؟.

– نعم .. إننى أعرف العراق وسوريا وايران ..

– ولكن من يراك يظن أنك من أهل هذه البلاد .. كل ما ينقصك هو الزى فقط ..

– لا أعتقد هناك رجلا انجليزيا استطاع أن يقنع الآخرين بأنه عربى سوي رجل واحد فقط .. كان العرب يظنون أنه واحد منهم .. لقد ولد هذا الرجل فى بلاد الشرق عندما كان والده يعمل قنصلاً هناك فتعلم كل اللغات الشرقية وأجادها تماماً.. عرفته وهو صبى صغير وكان زميلى فى جامعة

اتيون حيث أطلقنا عليه لقب (الفقير) ، لأنه كان يمضى ساعات طوالا فى صمت تام .

- ألم تلتق به بعد التخرج ؟.

- المرة الوحيدة التى رأيته فيها كانت في مدينة البصرة وكانت فى ظروف بالغة الغرابة .

- ياله من لقاء !.

- كنت أظنه عربياً من أهل البلاد فقد كان يرتدى ثياباً عربية صميمة ويضع حول عنقه كوفية ويحمل فى يده مسبحة .. فى البداية لم أهتم به ولكننى لاحظت أنه يتعمد إحداث أصوات منتظمة بواسطة حبات المسبحة وعلى الفور تذكرت إشارات مورس وأدركت أنه يوجه إلى رسالة .

- وكيف عرفت ذلك ؟.

- وجدته يذكر لقبى ويطلب النجدة ، ثم اتجه إلى الباب بعد ذلك وفجأة أخرج رجل انجليزى بدين مسدسه وصوبه إليه ولكنى قبضت على ساعده بقوة وأنقذت كارمايكل ..

هتفت ڤيكتوريا بحدة :

- كارمايكل ؟!.

- نعم .. هل تعرفينه ؟.

لم تستطع أن تقول له لقد مات فى فراشى .. ولكنها قالت :

- أعرفه .. كنت أعرفه ..

– كنت تعرفينه .. هل هو ..

– نعم .. لقد مات .

– ومتى حدث ذلك ؟.

– منذ أيام قلائل .. فى فندق تيو ببغداد .. ولكن لا أحد يعلم بهذا النبأ .

نظر إليها بيكر طويلاً ثم قال :

– كيف عرفت أنه مات رغم أن الخبر لم يعلن ؟!.

– عن طريق الصدفة البحتة .

ظل ينتظر المزيد من التفصيلات ولكنها قالت :

– هل كان لقبك فى الجامعة هو لوسيفر ؟.

– كلا .. كانوا يطلقون على لقب (البومة) . لأننى كنت أستعمل نظارات كبيرة .

– ألا تعرف شخصاً يلقب بـ (لوسيفر) فى البصرة ؟.

وبعد تفكير قال :

– كلا .. إن لوسيفر ، هو الملاك الذى هوى .. وهو ابن الفجر .. هذا كل ما أعرفه عنه .

– أريد أن أعرف كل ما حدث فى البصرة بالتفصيل .. ترى أين وقع هذا الحادث ؟.

– وقع فى قاعة الانتظار وفى الطابق الأسفل من القنصلية .

– من كان يجلس معك فى القاعة وقتها ؟.

– هذا الانجليزى البدين الذى أطلق النار وشخص آخر يبدو أنه فرنسى ورجل ايرانى عجوز ..

– وكيف تمكن كارمايكل من الهرب ؟..

– انطلق بسرعة مخترقاً دهليزا يؤدى إلى مكتب القنصل ثم اتجه يساراً إلى الحديقة .

– إننى أعرف هذا الدهليز فقد قضيت فترة فى ضيافة القنصلية عقب رحيلك مباشرة .

– إن هذا عجيب ..

أخذ يتفرس فيها ولكنها تجاهلت نظراته وقالت :

– ترى هل كان هناك ضيوف غيرك بالقنصلية ؟.

– مستر كروسبى وهو يعمل فى شركة بترول .

أخذت ڤيكتوريا تتساءل هل يمكن أن يكون كروسبى هو لوسيفر ؟ كانت تعرف كروسبى .. ثم قالت :

– هل تعرف شخصا يدعى (لافارج) ..

– كلا ..

– ألا يذكرك هذا الاسم بأى شئ ؟.

– كلا ..

* * *

وبعد أن أوت ڤيكتوريا إلى فراشها قال بيكر للدكتور بونسفوت :

– أريد أن أطلع على رسالة الدكتور ايمرسون بخصوص تلك الفتاة..

– لقد نسيت أين وضعتها .. لابد أننى أحتفظ بها فى مكان ما لأننى كتبت عليها ملاحظات هامة عن العمل ، وأذكر أن ايمرسون أطرى هذه الفتاة كثيراً ، وهى فى الحقيقة فتاة ظريفة قوية التحمل ألا ترى أنها لم تحزن كثيراً لفقد أمتعتها ؟ لو كانت فتاة أخرى تعرضت لهذا الموقف لملأت الدنيا عويلاً ولطالبت بأن تعود إلى بغداد بأى شكل .. كيف فقدت أمتعتها ..

– قالت إنهم خدروها وسجنوها .

– لقد تذكرت الآن ..

* * *

فى اليوم التالى وقع حادث غريب للغاية .

كان الوقت حوالى الظهر عندما سمع الدكتور بونسفوت صوت محرك سيارة قادمة نحوهم فقال بلهجة تدل على الضجر :

– يبدو أننا سوف نستقبل زائرين جددا .. لقد أصبحت أقضى وقتى لشرح اكتشافاتى .

قال بيكر :

– يبدو أنك نسيت ڤيكتوريا .. فيمكنها أن تحل محلك في هذه المهمة فهى على دراية كبيرة ولديها معلومات قيمة تؤهلها لذلك .

قالت ڤيكتوريا :

– إن معلوماتى قليلة وأخشى الوقوع فى أى خطأ .

- يبدو أنك متواضعة للغاية ياعزيزتى ، ولكن المعلومات التى أدليت بها هذا الصباح بخصوص الجدار الذى اكتشفناه لا تصدر إلا من خبير .

- أشكرك . . وسوف أبذل قصارى جهدى .

كانت بالفعل قد بذلت جهوداً كبيرة خلال الأيام الماضية .. كانت تعمل معهم فى الحفريات بالنهار وتقرأ الكتب المتخصصة أثناء الليل وفى فترات الراحة حتى أمكنها معرفة جميع أنواع القطع الأثرية والعصور التى صنعت فيها ..

ذهبت مع بيكر لاستقبال الضيوف .. كانا رجلين فرنسيين رافقتهما ڤيكتوريا إلى الحفائر وأخذت تردد على مسامعهم كل ما حفظته عن هذه الآثار .

وبعد قليل اعتذر أحدهما وطلب العودة إلى البيت للراحة وكانت ڤيكتوريا قد لاحظت أنه لا يلقى بالاً إلى حديثها .

وبعد انصرافه قال زميله إنه يعانى من آلام حادة بالمعدة ورغم ذلك فقد أصر على الحضور معه .. وبعد انتهاء الجولة شكرهم الرجل وطلب أن يسمحوا لهما بالعودة قبل الغروب حتى لا يضلا الطريق ..

* * *

ذهب بيكر إلى غرفته لكتابة بعض الخطابات وما كاد يفتح أدراجه حتى اكتشف أن شخصا ما قد عبث بأوراقه ، وعلى الفور اتجه تفكيره إلى هذا الرجل الفرنسى الذى أدعى المرض حتى يمكث بالمنزل .

أخذ بيكر يفحص أوراقه ونقوده ولكنه وجد كل شئ كما هو ولم ينقص

شئ .. وخطر له أن يكون الرجل قد سرق بعض الآثار فأسرع إلى الغرفة التي وضعت فيها تلك الآثار فوجدها كاملة لاينقصها أى قطعة .

ذهب إلى ڤيكتوريا على الفور فوجدها تطالع كتاباً وقال لها :

- لقد قام شخص ما بتفتيش غرفتى ؟.

- شخص ما ؟.

- نعم .. ألم تفعلى أنت ذلك ؟.

- أنا .؟ ولماذا أفعل ذلك ؟.

- لابد أنه الرجل الفرنسى الذى أدعى المرض ..

- هل سرق منك شيئاً ؟.

- ولماذا يفعل ذلك ؟.

- كنت أظنك تعلمين السبب .. إن المغامرة التى رويتها والأخطار التى تحدثت عنها ..

- ولماذا يفتشون غرفتك رغم أن لا علاقة لك بـ ..

ولكنها بترت عبارتها .. فنظر إليها متساءلاً .

استغرقت ڤيكتوريا فى التفكير فقال لها بيكر :

- ترى ماذا تقرئين ..

- لم أجد فى المكتبة إلا رواية قصة مدينتين لتشارلز ديكنز ..

- إنها رواية رائعة بالفعل .. أين وصلت ..

فأطل من فوق رأسها وقرأ :

(كانت المرأة تغزل الصوف وهى تحصى عليه عدد الرؤوس التى تفصلها المقصلة) .

فقالت ڤيكتوريا :

- يالها من إمرأة رهيبة .

- تقصدين مدام ديفارج ؟.. إننى أتساءل كيف كانت تحصى الرؤوس باستخدام خيوط الصوف !!.

وفجأة خطر ببال ڤيكتوريا خاطر عجيب !!

فيبدو أن كارمايكل قصد أن يقول (ديفارج) وليس (لافارج) .. كما أنه كان يضع حول عنقه كوفية من الصوف حمراء اللون .. تلك الكوفية التى دستها بين أمتعتها ثم نسيتها تماماً .. فلابد أن الرجل قد أراد الإشارة إليها لأن بها شيئاً ما سجله .

ضاق بيكر ذرعاً بصمتها الطويل فقال لها :

- ماذا حدث ؟ إنك تنظرين إلى ولا تتكلمين ؟.

كانت ڤيكتوريا تفكر فى عودتها إلى بغداد فى الغد بعد أن قضت هذه الأيام السعيدة مع البعثة وما شعرت به من طمأنينة .. كانت تلك المرة الأولى التى تشعر فيها بالأمان منذ جاءت إلى بغداد فهل تعود للعمل فى معهد غصن الزيتون ومع مستر دايكن ؟!.

كلا .. سوف تحضر هذه الكوفية وتقدمها لمسز دايكن ثم تنفض يديها من هذه المغامرة .

كان بيكر مازال يتفرس فيها فقال :

– ڤيكتوريا .. أريد أن أعرف حقيقتك .. أنك لست فيرونيكا سافيل التى أرسلها لنا الدكتور ايمرسون .. لقد اختبرتك بعض الاختبارات ولكنك فشلت فيها كلها .

– لقد صارحتك باسمى فى اللحظة الأولى التى تقابلنا فيها وقلت لك أننى أدعى ڤيكتوريا جونز ..

– ولكنك لست ابنة أخ الدكتور بونسفوت جونز ؟.

– كلا .. أنت الذى دفعتنى لادعاء ذلك .. فعندما ذكرت لك قصة اختطافى لم تصدقنى فزعمت لك أننى ابنة أخ الدكتور حتى لا تتركنى وحدى فى الصحراء .. كنت أعلم إنه رجل مرموق يحترمه الجميع ، ولم أتخيل إنك سوف تذهب بى إليه .

– أى أن القصة التى ذكرتها كانت واقعية وليست من وحى خيالك ؟.

– نعم ..

– وما ذكرته كان بداية قصتى مع كل هذه الأحداث ..

– أريد أن أعرف كل شئ بالتفصيل .

– إن الأمر شديد الخطورة ولا أعرف هل يمكننى أن أثق بك أم لا ؟.

– هل نسيت إنك كذبت على طول الخط وانتحلت شخصية غير شخصيتك ؟.

– سوف أقص عليك كل شئ ولن أخفى شيئاً ، فلو كنت من أعدائى فإنك

تعرف كل شئ بالتأكيد .

أخذت أقص عليه كل شئ بأدق التفاصيل ولم تغفل إلا شيئا واحدا وهو موضوع الكوفية الحمراء .. وبعد أن انتهت قال لها :

– ولكن هل يمكن أن يكون للدكتور راتبون ، دور فى هذه المؤامرة الشيطانية ؟ إنه يتمتع بسمعة دولية طيبة ويتلقى معونات من أنحاء العالم ..

– ولذلك فهو الشخص المثالى للاضطلاع بهذه المؤامرة ..إنه يختفى وراء هذه المظاهر البراقة والدعايا الجوفاء .

– ولكن من هو (لافارج) ، الذى سألتنى عنه ؟.

– ربما كان مجرد اسم كهيلين شيل تماماً ..

– ومن هيلين شيل ؟ إننى لم أسمع عنها من قبل .

– يبدو أنها تلعب دوراً هاماً فى هذه المؤامرة ولكننى لا أعلمه حتى الآن .

– من هو الرجل الذى دفعك إلى هذه المغامرة ؟.

– مستر دايكن وهو يعمل فى إحدى شركات البترول ..

– أهو ذلك الرجل الذى يرتدى ثياباً غير متناسقة ويبدو عليه الخمول؟.

– نعم .. ولكن حقيقته تختلف عن مظهره كثيراً .

– إن الأمر يبدو مثل القصص البوليسية تماماً .

★ ★ ★

الفصل الحادى عشر

فى صباح اليوم التالى استقلت ڤيكتوريا السيارة مع بيكر وألقت نظرة وداع حزينة إلى التل الأسود الذى نعمت فيه بأيام رائعة ..

وبعد أن وصلت إلى بغداد ذهبت مع بيكر إلى فندق تيو حيث تسلم الشاب رسائله ورسائل الدكتور بونسفوت جونز ، وما كاد ماركوس يرى ڤيكتوريا حتى انفرجت أساريره ورحب بها بحرارة وعاتبهالأنها لم تحضر إلى الفندق طوال الفترة الماضية فعلمت أنه لا يعلم أى شئ بخصوص اختطافها فسألته عن مستر دايكن فقال :

– كان هنا أول أمس ونحن اليوم فى انتظار الكابتن كروسبى

– وأين يوجد مكتب مستر دايكن ؟.

– فى مقر شركة البترول ..

– وسوف أذهب إليه حالاً .. ولكننى أريد غرفة بالفندق وأريد أيضاًبعض النقود على سبيل القرض ..

فقدم إليها الرجل كل ما معه من نقود حتى تأخذ ما تريد منها .

دهش مستر دايكن لحضور ڤيكتوريا إلى مكتبه وقال هامساً :

- لقد ارتكبت غلطة فظيعة بحضورك إلى هنا ..

- اضطررت إلى ذلك بسبب الأحداث الخطيرة التى وقعت لى والاكتشافات الهامة التى توصلت إليها ..

- توصلت إليها ..

- ماذا حدث ؟.

- ألم يقل لك ادوارد شيئاً ؟.

- كلا .

أخذت ڤيكتوريا تحدثه عن كل شئ بالتفاصيل منذ أن تم اختطافها ثم هروبها واكتشافها العلاقة بين كوفية كارمايكل ومدام (ديفارج) ، وبعد أن انتهت قال دايكن بصوت يعبر عن السرور :

- إنها حقاً اكتشافات رائعة .. ولكن أين توجد الكوفية ؟.

- فى أمتعتى ولا أظن أن أحدا يعلم عنها شيئاً .

- ولا أعتقد أن أحدا سوف يهتم بكوفية قديمة بين أمتعتك .. لابد الآن أن نحصل على هذه الأمتعة .

- سوف أقيم فى فندق تيو .. مارأيك .. هل أعود إلى معهد غصن الزيتون ؟.

- هل تخافين ؟.

- كلا .. إذا طلبت منى العودة فسوف أعود ..

– أعتقد أنه لا ضرورة لذلك فمن المؤكد أنهم يعرفون عنك كل شئ الآن .

– إنني فى حيرة شديدة .. فلماذا صبغوا شعرى ؟.

– ربما أرادوا أن يغيروا معالم جثتك .

– ولماذا لم يقتلونى ؟.

– ليتنى أستطيع الاجابة على هذا السؤال .

– وهناك شئ هام للغاية توصلت إليه .. لقد قلت لك يوماً إن شيئاً ما قد تغير فى السير روبرت كرفتون لى .

– نعم .. إننى أذكر ذلك .

– هل كنت تعرف الرجل جيداً ؟.

– كلا .. فلم ألتق به إلا فى بغداد .

– إن هذا الذى قابلته لم يكن السير روبرت .

ثم أخبرته بكل الحقائق فهتف قائلاً :

– إنك رائعة يا فيكتوريا .. هذا يوضح لنا كل شئ ويجيب على التساؤل الذى طرحته .. لماذا تخلى كارمايكل عن حذره ، ولابد أنه فعل ذلك عندما التقى بالسير روبرت المزيف الذى طعنه تلك الطعنة القاتلة ورغم ذلك فقد وصل الرجل إلى غرفتك ومعه الكوفية .

– ترى هل قاموا باختطافى حتى لا أذكر لك هذه الحقائق ؟ إننى لم أصارح بها أى أحد سوى ادوارد ..

– ربما شعروا بأنك تعرفين أكثر مما ينبغى عن معهد غصن الزيتون

وقرروا قتلك ..

- معك حق .. فقد هددنى الدكتور راتبون ..

- إنه ثعلب ماكر .

- رغم سعادتى بعدم الذهاب بعد ذلك إلى هذا المعهد إلا أننى قلقة على ادوارد .

الأمر فى غاية البساطة .. إذا لم يمكنك الذهاب إليه فيمكن استدعاؤه ليقابلك هنا .. اطلبى منه أن يحضر حقائبك من البصرة إلى هنا .. بعد قليل سأحضر حفلة دعانى فيها الدكتور راتبون وسأنقل رسالتك خفية إلى ادوارد دون أن تدرى كاترين .

وعليك أن تعودى إلى فندق تيو .. وأن تلزمى الحذر الشديد .. لقد عرفت الآن مقدار قوة أعدائك .

سوف يتولى عدد من رجالنا مسئولية حراستك ولكن أوصيك بالحذر.

* * *

أخيراً جاء ادوارد إلى فندق تيو وماكاد يرى ڤيكتوريا حتى قال :

- ما هذا ؟ ماذا فعلت بشعرك ؟ إن لونه الأول كان أفضل .

- يمكنك أن تسأل كاترين .

- وما شأنها بلون شعرك ؟.

- ألم تطلب منى أن أتقرب إليها .. إن هذه هى النتيجة .. ومن الطبيعى أنها لم تذكر لك ما حدث .

– ماذا حدث ؟ لقد كنت قلقاً للغاية لغيابك ؟.

– ألا تعلم أين كنت ؟.

– لقد ذكرت لى كاترين إنك اضطررت للسفر إلى الموصل وسوف تبعثين إلى بأخبارك .

– وهل صدقتها ؟.

– أعتقدت أنك توصلت إلى معلومات هامة وأردت تضليل كاترين .

– ولكن ألم تتصور أنهم قاموا بتخديرى ثم باختطافى ؟.

– يا إلهى .. كيف حدث هذا ؟ ولكن هيا بنا نصعد إلى غرفتك حتى نتحدث فى كل ذلك .

– هل أحضرت معك حقائبى ؟.

– نعم وتركتها لدى موظف الاستقبال .

– أشكرك .. أريد أن أصعد إلى غرفتى واستبدل ثيابى .

– لدى الآن خطة عظيمة .. هيا بنا نذهب إلى مكان فى إحدى الضواحى يتميز بالروعة والجمال .

– حسناً .. هيا بنا ..

انطلق ادوارد بسيارته نحو الجنوب وبعد حوالى ساعة وصل إلى غابة صغيرة تتكون من عشرات الأشجار وكانت حقاً منطقة رائعة .

جلسا سوياً على العشب فقالت ڤيكتوريا :

– كأننا فى انجلترا فى فصل الربيع .

أخذت ڤيكتوريا تقص عليه كل تفاصيل مغامراتها الأخيرة منذ أن ذهبت إلى الصالون مع كاترين حتى عادت إلى بغداد بصحبة بيكر .

وبعد أن انتهت انفجر ضاحكاً وقال :

– يالك من فتاة رائعة .. إنك تتمتعين بخيال خصب للغاية وسرعة بديهة تحسدين عليها .

– لقد أنقذنى عمى الدكتور بونسفوت جونز من مأزق عديدة .. وكذلك عمى لانجو .

وتوقفت فجأة عندما تذكرت أمراً هاماً .. قالت لادوارد :

– كيف علمت أننى انتحلت شخصية ابنة أخت الاسقف لانجو ؟!.

وعلى الفور تقلصت ملامح ادوارد وضغط على يدها بقوة وقال بسرعة :

– أنت التى ذكرت لى ذلك .

نظرت إليه نظرة حادة دون أن تعقب ..

ولكنها بعد ذلك عندما فكرت فى الأمر بهدوء تحققت من كذب ادوارد .. كان من الواضح أنه فوجئ بسؤالها فألقى أول إجابة خطرت على باله وإن كان قد ندم على هذه الإجابة بعد ذلك .

وبدأت الأمور تتضح تدريجياً أمام عينيها .. كانت واثقة أنها لم تحدث ادوارد عن أسقف لانجو ، حدثت فقط مستر كليب وزوجته ومن المستحيل أن يكون أحدهما قابل ادوارد الذى كان فى هذا الوقت بمدينة البصرة .

فمن المؤكد أنهما ذكرا له ذلك فى لندن .. أى أنه كان يعلم أنها سوف

تسافر إلى العراق وتم تدبير الأمر حتى تصحبها مسز كليب معها بينما كانت تظن أن الأمر مجرد مصادفة .

ما أغباها حقاً .. لقد وقعت ضحية خطة شيطانية ..

وهنا فقط أدركت معنى كلمة لوسيفر .. إن لوسيفر هو أجمل الملائكة الذى طرد من الجنة ..

ياإلهى .. إن راتبون ليس هو الزعيم ولكنه (لوسيفر) ، أى ادوارد الموظف الصغير فى المعهد .. يالها من فكرة شيطانية .. ادوارد هو الزعيم من واء الستار وراتبون ما هو إلا واجهة فقط وربما كان أفضل من ادوارد ألم ينصحها بالفرار ؟!..

هل هى حقاً تحب ادوارد ؟ كلا .. إن الامر مجرد إعجاب شديد فقط كإعجاب الفتيات بنجوم السينما .

لقد اكتشفت كل هذه الحقائق المروعة فى ثوان معدودة وهى جالسة مع ادوارد فى هذا المكان الشاعرى .. ولم يبد على وجهها أى أثر لما تفكر فيه من أمور عظيمة ، بل أخذت تنظر إليه باعجاب شديد وتتصنع الحب والوله .

أدركت دقة موقفها .. فهى فى ورطة شديدة ولن ينقذها سوى ذكائها وسعة حيلتها .. قالت له :

- لقد خطر لى خاطر مضحك للغاية .. تخيلت أنك دبرت كل هذا حتى تسهل أمامى مهمة الحضور إلى بغداد .. ترى كيف فعلت كل ذلك يا ادوارد من المؤكد أن نفوذك لا حدود له .. ترى هل تحبنى حقاً ؟.

نظر إليها وابتسم ابتسامة غامضة ثم قال :

- أنت واثقة أننى أحبك ..

- ولكن ما هو الهدف الذى تسعى إليه يا ادوارد ؟.

- خلق عالم جديد على أنقاض هذا العالم الفاسد ..

وأخذ يشرح لها بحماس أهداف المنظمة وسعيها إلى إبادة النظم القائمة تماماً عن طريق تدمير القوى العظمى لبعضها البعض عن طريق حرب عالمية تمحو كل شئ ، وفى النهاية يتمكن الشباب من السيطرة على مقاليد القوة ويحكمون العالم وفق أهداف ومبادئ جديدة تماماً ..

قالت : ولكن هذه الحروب سوف تؤدى إلى هلاك الملايين من الأبرياء ..

ثم توقفت حتى لا تثير غضبه وقررت أن تتبع خطة للنجاة بنفسها .. قالت

- إن اعجابى بك قد تضاعف أيها العزيز .. ماذا يمكننى أن أفعل ؟.

- هل يمكنك خدمة أهدافنا ؟.

- إننى أثق بك ثقة مطلقة يا ادوارد .. وسوف أطيع كل أوامرك .. ولكن لماذا جئت بى إلى هنا ؟.

- هل تذكرين يوم أن تقابلنا فى الحديقة لأول مرة ؟.

- نعم ..

- لقد التقطت لك صورتين .. فقد اكتشفت وجود شبه كبير بينك وبين فتاة أخرى فالتقطت الصور حتى أتحقق من هذا الشبه .

- ومن هى هذه الفتاة ؟.

- هيلين شيل .. إنه شبه عجيب حقاً لدرجة أن هناك ندبة على يمين

الشفة العليا لكليكما ..

– لقد سقطت من فوق شجرة وأنا طفلة فأصبت بهذا الجرح ..

– ورغم أن هيلين أكبر منك بحوالى أربع أو خمس سنوات إلا أن التشابه بينكما شديد ، كما أنها تماثلك فى الطول والوزن .. الاختلاف بينكما فى لون الشعر والعينين .. إن شعرها ذهبى وشعرك أسود ، وعيناها زرقاوان ولكن بدرجة أخف من زرقة عينيك .. والحل سهل فيمكن صبغ شعرك واستخدام عدسات لاصقة .

– ولهذا قررت احضارى إلى بغداد ؟.

– نعم .. ودبرت الأمر مع مستر كليب وزوجته .

– ومن هما ؟.

– لا قيمة لهما فى الواقع .

شعرت بأنه شديد الصلف والغرور .. قالت :

– ولكنك ذكرت لى أن لهيلين شيل مركزاً خطيراً فى منظمتكم .

– لقد قلت ذلك فقط لكى أضلك حيث وجدتك تعلمين الكثير من الأمور الخطيرة .

وأدركت أن التشابه بينها وبين هيلين شيل هو الذى أنقذ حياتها .. فسألته :

– ومن هى هيلين شيل ؟.

– إنها السكرتيرة الخاصة لرجل الأعمال الدولى اوتومور جنتال ، وتتمتع

بعقل جبار ، ويبدو أنها تعرف الكثير عن صفقاتنا المالية وهى من ضمن أهم وأخطر ثلاثة أشخاص على المنظمة ، أما الآخران فهما كارمايكل وروبرت كرفتون لى ، وقد تم القضاء عليهما ولم يتبق سواها، من المنتظر أن تصل إلى بغداد خلال ثلاثة أيام ولكننا لا نعرف مكانها حالياً .. لقد اختفت .

- أين ؟.

- اختفت فى لندن .. ولكن ربما كان دايكن يعرف مكانها .. ولكنها سوف تحضر إلى بغداد بعد خمسة أيام لحضور المؤتمر الدولى وقد بحثنا فى قوائم جميع شركات السياحة والطيران وتحرينا عن كل المسافرين فوجدنا أن هناك مكانا محجوز باسم السيدة جريتا هارون ، واكتشفنا أنه اسم مستعار ولذلك فمن المتوقع أن تكون هى هيلين شيل .. وسوف تصل طائرتها إلى دمشق بعد غد وعندها سوف يبدأ دورك أنت .

- أنا ؟.

- نعم . فسوف تحلين محلها ..

وعلى الفور تذكرت ما حدث للسير روبرت وكيف تم استبداله بشخص آخر مزيف .

لم يكن بوسعها إلا القبول حتى لايشك ادوارد فى نواياها ويحرمها فرصة الاتصال بدايكن فقالت بهدوء :

- ولكننى لا أستطيع القيام بهذا الدور الصعب يا ادوارد لأننى لا أجيد التحدث باللكنة الأمريكية ..

- إن هيلين تتحدث الانجليزية بطريقة عادية تماماً وبدون أى لكنة ، وبالاضافة إلى ذلك فسوف يصيبك مرض فى الحلق وسيؤيد ذلك أكبر أطباء بغداد .

- يبدو أنك قد أعددت العدة لكل شئ .. فماذا يجب على أن أفعل؟.

- سوف تغادرين دمشق تحت اسم جريتا هاررن وعندما تصلين إلى بغداد سوف تلازمين الفراش فى غرفتك بالفندق ولن تغادريه إلا من أجل الذهاب إلى المؤتمر لتقدمى وثائقك .

- من المؤكد أنها وثائق مزيفة ؟.

- بالطبع وهى جاهزة لدينا .

- وماذا بها ؟.

- تفاصيل مؤامرة شيوعية لقلب نظام الحكم فى الولايات المتحدة .

- ولكن هذا دور صعب فهل يمكننى القيام به ؟.

- أعتقد ذلك ولا تنسى أنك تجيدين الكذب .

هزت رأسها بالموافقة ، فلولا أنها كذبت وأدعت أنها تنتسب إلى اسقف لانجو لما عرفت حقيقة هذا الشيطان ادوارد .. قالت له :

- هل الدكتور راتبون هو أحد زعماء المنظمة ؟.

- كلا .. إنه مجرد أداة فى يدى .. إنه لص حقير .. ظل يختلس معظم الأموال التى ترد للمعهد خلال السنوات الماضية ، ولكننا نعلم عنه كل شئ ونقبض على عنقه جيداً .

هيا بنا نرحل من هنا حتى نبدأ العمل .

– أعتقد أن مستر دايكن ربما يعرف مكان هيلين شيل ويمكننى أن احتال عليه حتى أعرف .

– كلا .. لأنك لن تقابليه بعد ذلك .

شعرت بالقلق الشديد ولكنها تمالكت نفسها وقررت أن تكذب كذبة جديدة فقالت :

– ولكننى على موعد معه هذه الليلة لتناول العشاء وإذا لم أذهب فربما ارتاب فى أمرى .

– كل هذا لا يهمنا ولا داعى لبقائك فى بغداد .

– ولكن كل أمتعتى توجد بفندق تيو ؟.

– لقد أعددت لك ملابس خاصة .. هيا بنا .

أدركت ڤيكتوريا أن الرجل لن يسمح لها بمقابلة دايكن بعد أن أطلعها على كل هذه الأسرار المذهلة ..

* * *

وفى الطريق إلى بغداد قال ادوارد :

– ليتنى أعلم ما معنى كلمة (لافارج) ، التى ذكرها كارمايكل .

قررت ڤيكتوريا أن تكذب كذبة جديدة فقالت :

– لقد زار رجل يدعى (لافارج) ، منطقة الحفائر فى التل الأسود منذ عدة أيام .

ارتعشت يده وهو يقول :

– ماذا ؟ متى حدث ذلك ؟.

– منذ حوالى ثمانية أيام وأدعى الرجل أنه عضو فى بعثة (بارو) ، للبحث عن الآثار فى سوريا .

– هل زاركم رجلان فرنسيان ؟.

– نعم وقد أصيب أحدهما بألم فى معدته .

– كانا من رجالنا ..

– هل كانا يبحثان عنى ؟.

– كلا .. ولكن بيكر كان فى البصرة فى نفس الوقت الذى حضر فيه كارمايكل وخشيت أن يكون قد أعطاه بعض الوثائق الهامة .

– وماذا فعل (لافارج) ، هذا ؟.

– تفقد الحفائر مع الدكتور بونسفوت جونز ، ثم عاد مع بيكر لزيارة مخزن الآثار بالمنزل ..

– هل سمعت الحديث الذى دار بين لافارج وبيكر ؟.

– كلا ..

– ترى من هو لافارج هذا ؟ هل يمكنك أن تصفيه لى ؟.

– إنه طويل القامة أسود الشعر نحيف الجسم شاحب اللون .

* * *

توقف ادوارد أمام فيلا في ضواحي بغداد ودق الجرس ففتحت الباب امرأة قصيرة القامة تبادل معها الحديث بالفرنسية ثم اصطحبت المرأة ڤيكتوريا إلى إحدى الغرف وبعد قليل خرجا سوياً في زي الراهبات ، وما كاد ادوارد يراها حتى أعلن إعجابه بها وطلب منها أن ترخي أهدابها وأن تنفذ التعليمات بدقة لأن كل شئ يتوقف عليها .. قال لها :

– إنني أعتمد عليك تماماً فلا أحد يستطيع القيام بهذا الدور سواك .. إن أوراقك سليمة وهي تقول أنك الأخت ماري دايزانج ، ومعك الأخت تريز وهي التي ستلقي إليك بالأوامر .

ثم أشار للسيارة أن تنطلق .

فكرت ڤيكتوريا أن تستغيث بالمارة في الشوارع ولكنها تراجعت عندما لمحت فوهة المسدس الذي تحمله رفيقتها .

★ ★ ★

الفصل الثانى عشر

فى مطار دمشق هبطت الطائرة وغادرها الركاب عدا أربعة فقط كانوا فى طريقهم إلى بغداد ولذلك كان عليهم أن يستقلوا طائرة أخرى .. كان أحدهم تاجر عراقى بدين والثانى طبيب انجليزى شاب والسيدة الأولى كانت هى مدام بونفسرت جونز التى جائت لكى تلحق بزوجها عالم الآثار .

أما السيدة الثانية فكانت فتاة نحيفة شقراء تدعى جريتا هاردن وتحمل جواز سفر دنمركى .. وأقلتهم سيارة لأحد فنادق دمشق لتناول الغداء والراحة قبل أن يستقلوا الطائرة التى ستقلع إلى بغداد فى المساء .

* * *

تمددت جريتا هاردن فى فراشها وسمعت طرقاً على الباب ، وعندما فتحته وجدت أمامها مضيفة طيران قالت لها :

- إننى آسفة لازعاجك ياسيدتى .. فهناك خطأ بسيط للغاية فى تذكرة السفر فأرجو أن تتفضلى معى بالذهاب إلى مكتب شركة الطيران فى نهاية هذا الدهليز ..

وجدت جريتا على الغرفة لوحة تحمل كلمة (المكتب) وبمجرد دخولها نزعت هذه اللوحة ووضعت كمامة على فمها ثم قبض رجلان على يديها بقوة بينما حقنها الثالث فى ذراعها ، وبعد ثوان قليلة غابت عن الوعى .. قال الرجل الذى حقنها

- إنها لن تفيق قبل ست ساعات .

ثم فتح الباب وأشار إشارة خاصة فدخلت امرأتان فى ثياب الراهبات أخذت إحداهما تتبادل ثيابها مع جريتا هاردن .. بينما قامت الراهبة الثانية بقص شعر الفتاة حتى يماثل شعر جريتا تماماً ، وبعد أن انتهت دخل الرجال الثلاثة ونظروا إلى الفتاة وأعلنوا ارتياحهم لهذه النتيجة .. قال أحدهم :

- لقد تأكدنا أن جريتا هى هيلين شيل ، فقد عثرنا على أوراقها الحقيقية مخبأة فى حقيبتها .. هيا بنا يامس هاردن لنتناول طعام الغداء سوياً .

فتبعته ووجدت فى البهو سيدة تقول لموظف الاستقبال :

- أرجو ارسال البرقية بالصيغة التالية : (سوف أنزل بفندق تيو) ، والمرسل اليه هو الدكتور بونسفوت جونز ..

وأدركت فيكتوريا أن المرأة هى زوجة العالم الأثرى وفكرت فى أن تحملها رسالة إلى ريتشارد بيكر ولكن الفرصة لم تسنح لها أبداً للحديث معها .

* * *

قال بيكر للدكتور بونسفوت :

– إننى أشعر بالقلق الشديد على ڤيكتوريا ..

– ڤيكتوريا .. نعم .. لقد لاحظت أنك عدت بدونها ..

– إنها لم تكن تنوى العودة فإنها ليست فيرونيكا سافيل .. لقد حدث سوء تفاهم .

– إن هذا شئ مؤسف للغاية .

– علمت أنها خرجت مع شاب فى سيارته ثم اختفت بعد ذلك رغم أن أمتعتها ماتزال فى فندق تيو ، ولم تفتحها ڤيكتوريا .. لقد كانت فى أشد الحاجة لاستبدال ثيابها ، كما أنها تخلفت عن موعدها معى على الغداء أتمنى أن تكون بخير .. لقد قاموا باختطافها مرة وأخشى أن يحدث ذلك مرة أخرى .

– لا داعى لأن تزعج نفسك يابنى بهذه الأمور .

– كانت تبحث عن رجل يعمل فى شركة البترول .. ليتنى أتذكر اسمه نعم كان اسمه دايكن .. سيدى .. أرجو أن تسمح لى بالذهاب إلى بغداد غداً إننى أشعر بالقلق عليها .

– يبدو أنك وقعت فى حبها يا بيكر .. هذا ما جنيته من السماح للنسـ . بالاشتراك فى العمل معنا فى البعثة .

– كلا .. إننى لم أقع فى حبها .. إننى حقاً شديد القلق عليها .

* * *

رحل بيكر إلى بغداد فى صباح اليوم التالى وقصد فندق تيو .. وعلم أن ڤيكتوريا لم تعد حتى الآن وقال ماركوس :

– إننى قلق للغاية .. كان من المفروض أن تتناول العشاء على مائدتى .

– هل قمت بإبلاغ البوليس ؟.

– كلا .. فربما ضايقها ذلك كما يضايقنى .

استطاع بيكر أن يصل إلى دايكن بسهولة فى مكتبه .. سأله عن ڤيكتوريا .. فقال الرجل :

– جاءت إلى هنا أول أمس .

– وهل تعرف عنوانها حالياً ؟.

– قالت إنها تنزل بفندق تيو .

– لقد اختفت رغم أن حقائبها ماتزال هناك .

– إننى للأسف لا أعلم أى شئ عنها .. إن لها أصدقاء كثيرين فى بغداد لا أعرف منهم أحدا .

شعر بيكر بالغضب فقال :

– حسناً .. لن أغادر بغداد قبل العثور عليها .

عندما عاد بيكر إلى الفندق وجد مسز بونسفوت جونز ، قد حضرت وأن ڤيكتوريا لم تعد حتى الآن ..

واضطر بيكر لانتظار مسز جونز حتى تصل من المطار .

* * *

كانت دهشة ڤيكتوريا عظيمة عندما دخلت إلى حجرتها بفندق بابل ووجدت كاترين بانتظارها .. وهى ترتدى زى ممرضة .. قالت بحقد :

- أنت ؟.

قالت كاترين بنفس اللهجة التى تشف عن الحقد الشديد :

- نعم أنا .. هيا استلقى هنا فسوف يحضر الطبيب حالاً .

ومن الواضح أن كاترين كانت تتولى مهمة رقابة ڤيكتوريا التى قالت لتغيظها :

- ولكن ادوارد قد أصبح ملك يمينى .

- يبدو أنك غبية .. إن ادوارد لا يحب سواى .. اننى أكرهك .. أكرهك منذ أن رأيتك لأول مرة ..

- إننى أؤدى أهم الأدوار .. دور البطولة .. أما دور الممرضة فهو دور تافه يمكن لأى فتاة أن تقوم به .. هيا اطلبى لى طعاماً يليق بى .

ثم أطلقت ضحكة عالية .. فقالت كاترين بلهجة تحمل كل معانى التهديد

- فلتضحكى كما تشائين .

* * *

قال الكابتن كروسبى لموظف الاستقبال بفندق تيو :

- هل يمكننى مقابلة الآنسة جريتا هاردن ؟ إنها صديقة أختى . وهذه بطاقتى .

وبعد قليل عاد الخادم وقال :

- ليس باستطاعة مس هاردن أن تستقبلك لأنها مصابة بمرض فى حلقها وتلازم الفراش وسوف يعودها الطبيب حالاً ، كما أن هناك ممرضة

ترافقها ..

اضطر الكابتن كروسبى للانصراف وذهب إلى فندق تيو ، حيث قال له ماركوس :

- إن الفندق مزدحم بسبب المؤتمر .. لقد اضطررت للتخلص من أحد موظفى هيئة الأمم المتحدة حتى أفسح مكاناً لمسز جونز . لقد غضبت كثيراً لأن زوجها لم يحضر لاستقبالها .

- إن الأمور فى بغداد تبدو غير مستقرة ..

- نعم .. فقد القوا القبض على بعض الشباب بتهمة التآمر ضد ضيوف المؤتمر .

* * *

دق جرس التليفون فى السفارة الأمريكية فقال أحدهم لسكرتير السفارة

- الآنسة هيلين شيل تريد أن تبلغكم رسالة .. أنها تقيم الآن بفندق بابل ولكنها مريضة للغاية وأنا طبيبها المعالج وهى تقول لكم أن معها وثائق فى غاية الأهمية تريد تسليمها إلى أحد المسئولين بالسفارة .

- سوف نرسل إليكم رسولاً .

شكراً ..

* * *

وقفت ڤيكتوريا تتأمل ثوبها الأنيق أمام المرآة ورأت نظرات كاترين تعبر عن الفرح مما أصابها بالقلق سألتها عن سبب سرورها فقالت كاترين :

- سوف تعلمين حالاً .. ألازلت تعتقدين أنك ستلعبين أهم الأدوار؟ إنك حقاً غبية ..

قبضت ڤيكتوريا على كتفها بقوة وقالت :

- ماذا تقصدين أيتها الأفعى ؟.

وفى هذه اللحظة دق الباب بطريقة معينة فقالت كاترين :

- سوف تعلمين كل شئ الآن ..

دخل رجل يرتدى ثياب البوليس وأغلق الباب ثم وضع المفتاح فى جيبه وقال لكاترين :

- هيا .. يجب أن نعمل بسرعة .

وعلى الفور جلست كاترين على أحد المقاعد وقام الرجل بشد وثاقها جيداً إلى المقعد وكمم فمها ، ثم تقدم صوب ڤيكتوريا وفى يده مطرقة

وأدركت ڤيكتوريا الحقيقة الرهيبة فى لحظة واحدة ..

لقد كذب عليها ادوارد عندما قال أنها سوف تنتحل شخصية هيلين شيل فالجميع يعرفونها هنا والأمر لا يحتمل هذه المخاطرة ، ولذلك فقد قرروا قتلها على أنها هيلين شيل وأن يقوموا بتشويه وجهها حتى لا يتعرف أحد عليه ، وعندما يتم اكتشاف الجثة سيتم العثور أيضاً على الوثائق المزيفة التى أعدها ادوارد وأعوانه .

أخذ الرجل يتقدم إليها وفى عينيه نظرات وحشية فأسرعت نحو النافذة وهى تصرخ .. سمعت صوت تحطم زجاج ثم شعرت بضربة رهيبة أفقدتها الوعى .

رفع دايكن السماعة حيث قال له أحد أعوانه :

- لقد نجحنا .. قمنا باعتقال الطبيب وكاترين والرجل الآخر .

-وهل أصيبت الفتاة بسوء .

- كلا .. مجرد ضربة أفقدتها الوعى .

- وهـ . ش . الحقيقية .. ألا توجد أى أخبار عنها ؟.

- كلا ..

أخذ بيكر يفكر .. لقد تم انقاذ ڤيكتوريا ولكن هيلين شيل اختفت تماماً .. ولابد أنهم قتلوها فقد كان اليوم هو موعد وصولها إلى بغداد ، إن اختفاءها سيجعل موقفه سيئاً للغاية ، حيث أن الوثائق التى تحملها ذات أهمية قصوى لإماطة اللثام عن هذه المؤامرة الرهيبة التى تستهدف إشعال الحرب بين القوى العظمى فى العالم وتدمير كل شئ .

فى هذه اللحظة دخل الخادم وأخبر مستر دايكن ، إن ريتشارد بيكر ومسز بونسفوت جونز ، يريدان مقابلته للأهمية ولكنه طلب من الخادم الإعتذار له ، فعاد الرجل بعد قليل يحمل قصاصة من الورق قرأ عليها (أريد أن أتحدث معك بشأن كارمايكل) ..

وعلى الفور سمح لهما بالدخول حيث قال بيكر .

- إننى أعلم أن الوقت ضيق للغاية .. لقد كنت زميلاً فى الدراسة لهنرى كارمايكل .. ولم ألتق به طوال هذه السنوات إلا منذ عدة أسابيع حيث رأيته بمبنى القنصلية البريطانية فى البصرة وكان يرتدى زيا عربيا ، وفهمت منه أنه يتعرض لخطر شديد ويطلب مساعدتى ، وقد أنقذته من محاولة اغتيال

بواسطة رجل انجليزى بدين ، وفيما بعد اكتشفت أنه دس فى جيبى ورقة تبدو من الظاهر عديمة الأهمية ولكننى احتفظت بها على أمل أن يعود لاستردادها ثم علمت من فيكتوريا جونز أن كارمايكل ، قتل وفهمت بعد ذلك أن بإمكانى تقديم هذه الورقة إليك أنت .. ها هى .. هل هى وثيقة هامة بالفعل ؟.

ثم وضع الوثيقة على مكتب دايكن ..

– إنها أهم مما تتخيل .. إننى أشكرك من كل قلبى .. ولكن للأسف لا يوجد لدى وقت كاف لأعبر لك عن شكرى .

تلقى دايكن مفاجأة جديدة .. فبينما هو يصافح مسز جونز قال لها :

– أتمنى لك ولزوجك العظيم كل توفيق فى مهمته العلمية .

فقال بيكر :

– من حسن الحظ أن الدكتور جونز لم يأت إلى بغداد لاستقبال زوجته وإلا كان سيلاحظ أنها مختلفة قليلا .. إنها فى الحقيقة أخت مسز جونز ..

قالت مسز جونز :

– إن أختى ايلزا مازالت فى انجلترا وقد صبغت شعرى باللون الأسود واستخدمت جوازها للسفر إلى هنا .. كانت أختى تعرف من قبل باسم ايلزا شيل وأنا شقيقتها هيلين شيل !!..

* * *

كانت شوارع بغداد تموج بعشرات من رجال الشرطة فى يوم انعقاد المؤتمر ، وفى الجلسة الافتتاحية ألقى مدير معهد الذرة كلمة مؤيدة بالوثائق

من العينات التى أحضرها السير روبرت كرفتون لى ، من التربة فى بعض مناطق أسيا والتى أثبت التحليل أنها غنية باليورانيوم ..

ثم ذكر دايكن بطولة كارمايكل ، الذى عرض حياته للخطر حتى يصل إلى هذه المناطق المحرمة ويكتشف حقيقتها وقال :

- لقد راح كل من كارمايكل والسير روبرت كرفتون لى .. ضحية لهذه المؤامرة الكبرى وبقى شخص واحد يمكنه أن يذكر لكم كل الحقائق المذهلة إنها الآنسة هيلين شيل .

تحدثت هيلين شيل بالأرقام والأحصائيات وذكرت الأسماء ، وأوضحت كيف تمكنت تلك المنظمة الرهيبة من جمع الأموال الطائلة من شتى أنحاء العالم حتى تمول مشروعاتها المدمرة لإحداث الشقاق بين القوى العظمى وإشعال نار الحرب العالمية .

وذكر دايكن أن كارمايكل .. ترك كل الصور والوثائق لدى أحد العلماء فى كربلاء حتى لا تقع فى يد أعدائه إذا ما تعرض للقتل وأوصاه ألا يعطيها إلا لمن ذكر بيتاً معيناً من الشعر العربى القديم .

وقدم دايكن الأفلام والوثائق التى كانت تضم عشرات الصور للمصانع والمناطق التى شاهدها ..

* * *

قالت ڤيكتوريا لدايكن :

- إن ما يؤلمنى هو وفاة الفتاة الدنمركية المسكينة .. فلا علاقة لها بتلك الحوادث أبداً !..

– جريتا هاردن ؟ إنها مازالت على قيد الحياة وفى صحة جيدة ، وقد تمكنا من اعتقال المرأة التى كانت تتنكر فى زى راهبة .. ولا تنزعجى إذا علمت أن جريتا هاردن كانت من أعواننا .

لقد توصلنا إلى هذه الحيلة حتى نخدع أعداءنا ونضللهم فحجزنا لها مكاناً على الطائرة وأحطناها بالغموض ونجحت حيلتنا .

– وهل كنت أنا تحت الحراسة دائماً ؟.

– نعم .. فقد كنا نرتاب فى نشاط ادوارد قبل أن يغادر لندن ، وعقب مصرع كارمايكل وماذكرته لى عنه أدركت أن ادوارد سوف يستغل صلته بك حتى يمدنا عن طريقك بمعلومات مضللة ولكنه شعر بخطورتك عندما أفضيت إليه باكتشافك المذهل عن السير روبرت ، وقرر أن يقتلك .

– يالها من مأزق مروعة لا أصدق إننى نجوت منها .

– لم يعد هناك داع للقلق بعد أن قبضنا على ادوارد وكل أعوانه بما فيهم الدكتور راتبون الذى اعترف باختلاس أموال المنظمة .

– وماذا استفدتم من كوفية كارمايكل ؟.

– وجدنا فيها اسم الشيخ الذى أودع لديه الوثائق والأفلام ، كما وجدنا بالوثيقة التى كانت لدى بيكر كلمة السر وهى عبارة عن بيت من الشعر القديم .

– يالها من مصادفة .. نصف السر معى والنصف الآخر مع بيكر .

وبعد لحظات أقبل بيكر وقال لفيكتوريا :

– إن فيرونيكا سافل ، لن تحضر لمرضها .. فهل يمكنك العمل معنا؟.

- اذا كنتم تريدوننى بالفعل .

وعندما شاهدها الدكتور بونسفوت جونز قال لها :

- هل عدت يافيرونيكا .. لقد كاد الفتى يجن بعد رحيلك .. إننى أتمنى لكما السعادة ..

★ ★ ★

(**تمت**)

مجموعة قصص أجاثا كريستى

* ساعة الصفر.
* جريمة فى قطار الشرق .
* جزيرة الموت .
* المصيدة .
* جريمة القصر .
* أغتيال اللورد .
* الزائر الغامض .
* الخدعة الكبرى .
* أعلان عن جريمة .
* الأنتقام الرهيب .
* الوصية المحترقة .
* خدعة أمرأة .
* القضية المستحيلة .
* النظرات القاتلة .
* رحلة إلى المجهول .
* الحب الذى قتل .
* جزيرة المهربين .
* المؤامرة الكبرى .
* الأفعى .
* جريمة الكوخ .
* كأس السم .
* الرعب القتل .
* دائرة الخطر .
* الغرفة السرية .
* الشبح القاتل .
* رجل يتحدى بوارو .
* سر المرأة المقنعة .
* الجريمة المعقدة .
* الرصاصة الأخيرة .
* الشاهدة الوحيدة .
* الماسة العجيبة .
* بيت الأسرار .
* شبح من الماض
* الساحرات الثلا
* الوثيقة السرية
* الجريمة المزدو
* سر زائر الليل
* الخطة الجهنمي

مكتبة معروف

الاسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ / فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة : ٢٦١١٢٢٩ ص.ب. ٣٧٠ الاسكندرية

بالمملكة العربية السعودية

مكتبة دار الشعب

ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض